نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
المنشئ ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

١٤ رمضان سنة ١٣٥٢ برج الجدي سنة ١٣١٢ هـ ش ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

(تابع لما نشرناه في الجزء السابع)

(تقليد الباب والبهاء والقادياني لغلاة الصوفية)

(في دعوى الوحي والنبوة والالوهية)

قد جرأ هؤلاء الغلاة من الصوفية أخوانهم في الابتداع على دعوى الوحي والتلقي عن الله تعالى كالانبياء حتى ادعى بعضهم النبوة نفسها بل أدعى بعضهم الالوهية ، وانك لتجد كلام الباب مؤسس فرقة البابية ، والبهاء مؤسس ديانة البهائية على انقاض البابية ، وغلام احمد القادياني مسيح الهند الدجال — كلهم قد ادعوا الوحي من الله لهم ، وتجد كلامهم في الغلو في أنفسهم ممزوجا باصطلاحات الصوفية ، فلم يفسد الاسلام على أهله بدعة ولا فلسفة ولا رواية ولا رأي كما أفسد أدعياء

الولاية والكشف ، فان أصل هذا الدين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ باجماع أهله وبداهة العقل أيضاً ، فأما البابية فقد انحصروا في البهائية ، وهؤلاء كان لهم رجل من أكبر الدهاة يسوسهم فمات فانحط شأنهم ، ووقع الشقاق بينهم على الزعامة وظهر للمسلمين تلبيسهم الباطني فقلما ينخدع بدعوتهم أحد بعد ، وزعيمهم الوارث له قد تربى تربية انكليزية مفضوحة ، فهو عاجز عن تأويلات عباس أفندي الصوفية الفلسفية الباطنية ، وأما القاديانية فقد نشطوا للدعاية وهم يؤملون أن يوجدوا في بقية المسلمين ما أوجدت المسيحية في اليهود ، أعني احداث ملة جديدة تسمى المسيحية الاحمدية ، وسيفتضحون ، لان زعيمهم ومسيحهم رجل مجنون ، والعصر يطلب تجديداً للاسلام ، لاتقديس فيه إلا لله ، وجميع كتب مسيحهم غلام أحمد تدور على تقديس نفسه كالبهاء ، ولكنه لم يخلفه رجل عاقل كعباس عبد البهاء ، يخفي كتبه عن العقلاء ، ويتصرف في التأويل لدعوته بمثل ذلك الدهاء ، وكيف يتسنى لهم اخفاء كتبه ، وقد طبعها ونشرها في عصره ، وفيها أقوى الحجج على ضلاله واضلاله ، وخزيه ونكاله؟

وجملة القول ان الصوفية ثلاث فرق : صوفية الاخلاق المهتدين بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وهم من خيار أولياء هذه الامة ، وصوفية الفلسفة الهندية الذين يسمون أنفسهم صوفية الحقائق وهم كغلاة الشيعة الباطنية شر المبتدعة الهادمين للدين ، وصوفية التقليد وهم أهل الطرائق والزوايا الكسالى ، وان هم الا صوفية أكل واحتفالات ، وبدع وخرافات ، إلا قليلا منهم ، وهاك ما وعدنا به من رأي شيخ الاسلام ، في أولياء الله وأولياء الشيطان ، ونقفي عليه بشواهد في هذا الزمان .

(كتاب الفرقان لشيخ الاسلام)

(استمتاع البشر والجن والشياطين بعضهم ببعض ، وتمثلهم بصور الاولياء والقديسين)

هذا الكتاب لشيخ الاسلام احمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى بين فيه تحقيق الحق في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ومن أهم مباحثه

ملابسة الجن والشياطين للناس وتلبيسهم عليهم واستمتاع كل منهما بالآخر وظهور بعضهم لبعض الناس في صور مشايخهم وغيرهم من الاولياء والخضر والانبياء عليهم السلام ، والايحاء إلى بعضهم فيما يضلهم ويغويهم ،وظهور بعض المؤمنين منهم فيما هو نافع ، ومن ذلك ماوقع له هو نفسه . وفي هذا الكتاب من مباحث التفسير وهدي السنة والتفرقة بين المعجزات والكرامات وبين السحر والكهانة واستخدام الجن والتأويل الباطل ووجوب الاتباع مالا يوجد في غيره، وحكايات استخدام الجن كثيرة في قديم الامم كلها وحديثها ، وأكثر الذين يدعونها أوكلهم دجالون محتالون على أكل اموال الناس بالباطل ، وأكثر من يتمثلون لهم لا يعلمون انهم منهم ، وشيخ الاسلام محقق وصديق لا يرمي القول على عواهنه

ومما قاله في هذا الكتاب انه قد تواتر عن كثير من المسلمين واليهود والنصارى رؤية من يقول لهم انه الخضر وانهم صادقون في قولهم ،ولكن الذي يتراءى لهم ويقول هذا القول شيطان لا الخضر الذي ثبت عند المحدثين انه قد مات،ومثل ذلك ظهور المسيح عليه السلام لكثير من النصارى عقب رفعه وبعده إلى الآن ثم قال :

« وأصحاب الحلاج لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي(١) بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة، وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن ، وقد رأيت خط الجن غير مرة — وفيه كلام من الجن، وذاك المعتقد يعتقد أن الشيخ حي، وكان يقول انتقل ثم مات، وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن ، وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون انه هو . والذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي الى بعض أصحابهم جني في صورته ، وهكذا منتظر الرافضة (٢) قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنياً

(١) الشيخ ابراهيم الدسوقي كان في عصر شيخ الاسلام ابن تيمية
(٢) بفتح الظاء المعجمة يعني المهدي الذي يقولون انه اختفى في السرداب

«فهذا باب واسع واقع كثيراً ، وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر ،ففي المشركين أكثر مما في النصارى ،وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام ، وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها إلى ماهو خير مما كانوا عليه، كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم إلى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وإن كان قصد ذلك الرجل فاسداً، وقد قال النبي ﷺ «ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم » (١) وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطل، ويقوى بها قلوب كثير من أهل الحق، وإن كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها ،والخير والشر درجات ،فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ماهو خير منه

«وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين ، وهو خير من أن يكونوا كفاراً (٢) وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزوا يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ، ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين ، وذاك كان شراً بالنسبة إلى القائم بالواجب ، وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير ، وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها إلى خير مما كانوا عليه ،وإن كانت كذبا (٣) وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف، ثم إذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه ،فنفس ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل إلى خير مما كان

(١) الجملة الاولى في أثناء حديث من الصحيح والجملة الثانية باللفظ وبالمعنى في غير الصحاح

(٢) يشبه هذا دعاة القاديانية الملقبين بالاحدية الى الاسلام في اوربة وغيرها فهم فريقان منهم من يقول إن القادياني مصلح مجدد لا نبي فهم مبتدعون ، ومنهم من يقول انه نبي كان يوحى اليه من الله وهم كفار مرتدون

(٣) أي والواضع لها والداعي اليها والمحتج بها كلهم آثمون اذا علموا ذلك

عليه وخف الشر الذي كان فيه ، ثم إذا أراد الله هدايته أدخل الايمان في قلبه ، والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، والنبي ﷺ دعا الخلق بغاية الامكان ، ونقل كل شخص إلى خير مما كان عليه بحسب الامكان ، (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون) وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة ، لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر مسلماً مبتدعاً ، وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة(١) وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع . اه المراد منه

(أقول) كل المشاهدات التي نقل خبرها شيخ الاسلام هنا مشهورة عن أهل عصره وأهل عصرنا ، وقد نقل عن الشيعة أنهم يستفتون المهدي المنتظر في بعض المشكلات فيضعون ورقة الاستفتاء في شجرة ثم يجدون الفتوى مكتوبة عليها ، وانها عندهم من أقوى الحجج أو أقواها ، وقد بينا هذا في المنار ، ومن هذا مايكون من حيل شياطين الناس وتزويرهم ، ومنهم من هم شر من شياطين الجن

(بعض حكايات النصارى المعاصرين في رؤية المسيح ومريم عليهما السلام)

إن الذين يتراءى لهم المسيح أو أمه عليهما السلام أو غيرهما من القديسين عندهم كثيرون ومن الرجال المشهورين بهذا في هذا الزمان رشيد بك مطران وهو وجيه سوري من بعلبك مشهور يقيم في أوربة ويكون غالبا في (باريس) فهو يرى السيدة مريم العذراء في اليقظة كثيراً ويسألها عن كثير مما يشكل عليه فتجيبه . وحدثني الامير شكيب ارسلان انه سألها مرة عن نبينا (ص) فأجابته مثنية عليه ﷺ ثناء عظيما لم أحفظه

وقرأت في جريدة مرآة الغرب العربية التي صدرت في (نيويورك) في مارس سنه ١٩٣٣ رسالة من عمان عاصمة إمارة شرق الاردن كتبت في ٢٦ كانون الثاني (يناير)

(١) أي الذين يدعون أو يلقبون بأهل السنة فما من أتباع مذهب منهم إلا وقد فتن بعضهم بالبدع ، وقد بين ذلك شيخ الاسلام في مواضع من كتبه ومنها هذا الكتاب

سنة ١٩٣٣ (الموافق ٢٩ رمضان سنة ١٣٥١) ملخصها ان امرأة نصرانية في عمان اسمها حنة بنت الياس غالي الملقب صهر الله متزوجة ولها أولاد وأخ فقيرة مشهورة بالتقوى عرض لها منذ سنة ونصف نزيف دموي عقب الولادة وأريد عمل عملية جراحية لها فأرشدت إلى التوجه أولا إلى الطبيب السماوي فدعت يسوع ليلا ثم ذهبت إلى الكنيسة بعد منتصف الليل لتصلي وهي في حال غيبوبة أو عقب رؤيا فرأت الكنيسة خالية وشاهدت في الهيكل شخصاً يحيط به نور عظيم فاشتد خوفها ورعبها، فدعاها وقال لها لاتخافي أنا المسيح فركعت على قدميه وقالت له اشفني ياسيد، فقال لها حسب ايمانك يكون لك، فبرئت وقرر الاطباء بعد فحصها انه لم تبق حاجة إلى العملية الجراحية فازدادت عبادة وتقوى

« ولما كان اليوم الرابع من هذا الشهر ك ٢ «يناير» شعرت في منتصف الساعة الثالثة بعد نصف الليل بيد تهزها من الكتف ففتحت عينيها فاذا نور عظيم في الغرفة وفي وسط النور شخص ملاك يقول لها سيحدث ضيق عظيم في العالم، ولكن لاتخافوا وستكون لكم هذه العلامة ـ وكان بيده كأس فغمس اليد الاخرى في الكأس وبأصابعه الثلاث وضع على جبينها علامة ثم تركها وقال اعطوا المجد لله.

فقامت وصارت تمجد الله بصوت عال، فهب أهلها وقالوا لها ماذا جرى لك؟ فقالت ألم تروا النور وتسمعوا الصوت؟ قالوا لا، قالت جيئوني بالضوء، فلما أحضروا القنديل رأوا في جبينها علامة طائر يشبه النسر صافا جناحيه ممتداً على طول جبينها وعرضه (أي جبهتها) وليس ماساً للحاجبين ولا شعر الرأس ولونه عنابي كالدم ورسمه متقن كأنه رسم فنان عظيم»

وقالت كاتبة الرسالة ان أهل عمان لما علموا بهذه الحادثة أقبل الناس من وطنيين وأجانب على اختلاف أديانهم فشاهدوا هذا الرسم وعني الاطباء بإزالته فعجزوا وان الذين شاهدوها يعدون بالمئات، ثم نقلت عن قسيس معروف جاء من نابلس وكتب عنها ما يأتي ملخصا:

«قالت انه ظهر لها الملاك مرة ثانية في ليلة السبت السابعة من الشهر نفسه (يناير) ووضع يده على جبينها فزالت العلامة، فقالت له يارب ارفع الضيق عن

العالم، فقال « سيرون أعمال الله » قالت ارحمنا يارب، قال « تكفيكم نعمتي » وفي ثاني ليلة أفاق أهلها فوجدوها واقفة تتكلم بالعبراني فكتبوا ماقالته وترجموه بالنهار فاذا هو تسبيح وتمجيد لله، ثم تكرر ذلك منها في الليالي التالية باللغات الالمانية والفرنسية والطليانية وفي الخامسة وثلث بالعربي واليوناني، وكانت ترتيلة العربي من نظمها وقولها « اصفح عن ذنبي ياربي، خذني ياربي، خذني الى أورشليم » ثم لم يحدث شيء. إلا ان الملاك ظهر لها ليلة ١٧ الشهر ووضع عليها العلامة وقال « لتكن هذه العلامة مباركة ثم اختفى، ثم ظهر بعد يومين ومحا العلامة اه باختصار وبلفظه إلا تصحيح كلمات قليلة

(أقول) سئل بعض أدباء المسلمين في عمان كتابة عن هذه الحكاية وعما روي في بعض الجرائد من رؤية موتى من الصحابة لم تبل أجسادهم ولا لفائفهم فأنكرها . وقد سبق لي تحقيق لامثال هذه الحكايات ملخصه انمنها ماهو كذب محض ، ومنها ماهو تخيل ولدته الاوهام ، يشبه الرؤى والاحلام ، ومنها ماهو رؤية لشيء موجود في الخارج من عالم الارواح التي تتمثل بأجسام لطيفة جداً لايدركها إلا بعض الناس في أحوال خاصة قريبة من التجرد من كثافة الحس ، ومنها مايتمثل بصورة مادية كثيفة كما صح من رؤية بعض الصحابة (رض) للملك وللجن ، والمشتغلون من الافرنج بمعالجة رؤية الارواح يسمون صاحب الاستعداد الخاص لرؤية الارواح ومخاطبتها بالوسيط، والراجح عندنا ان أكثر المدعين لذلك أولو كذب وحيل وتلبيس، وان أقلهم يرون بعض الشياطين من جند أبليس، ولاسيما شياطين الموتى وقرنائهم العارفين بأحوالهم ، وشيخ الاسلام يقول ماقرأت آنفا وهذا الذي يقوله لاينكر أحد من الصوفية وقوعه لكبار شيوخهم ، بل أثبتوا ان الشيطان يتراءى لهم ويلقنهم كلاما مدعياً انه ربهم كما حكاه الشعراني وغيره عن الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي اتفقوا على انه كان القطب الغوث الاكبر

وملخصه انه رأى نوراً عظيما ملأ الافق وسمع منه صوتا يخاطبه بانه ربه وقد أحل له المحرمات ، فقال له : اخسأ يالعين ، فتحول النور ظلاما ودخانا ، وقال له قد نجوت مني بفقهك الخ وانه فتن بهذا كثيرين من كبار الشيوخ . ومن المعلوم

أن جميع غلاة الصوفية قد ادعوا أن الله خاطبهم بالحقائق وكشف لهم منها مالم يكشفه لغيرهم كما تقدم وهم يتعارضون في دعاويهم الشيطانية كما تقدم

وللشيخ عبد الوهاب الشعراني كتاب صغير سماه (الانوار القدسية ، في بيان آداب العبودية) مطبوع مع كتابه الطبقات ذكر في أوله انه سمع وهو في حالة بين النائم واليقظان هاتفا يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول له على لسان الحق سبحانه وتعالى كلاما ذكره قال « فما استتم هذا الكلام وبقي عندي شهوة نفس لمقام من مقام الاولياء لا في الدنيا ولا في الآخرة » ثم بسط الكلام على مرادهم بالهاتف وعلله بقوله « خوفا أن يتوهم أحد من القاصرين الذين لا معرفة عندهم بمراتب الوحي ان ذلك وحي كوحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأقول

«اعلم ان الهاتف المذكور لا يخلو إما أن يكون ملكا أو ولياً أو من صالحي الجن او هو الخضر عليه السلام أو غير ذلك ، لان الخضر عليه السلام حي باق لم يمت وقد اجتمعنا بمن اجتمع به وبالمهدي وأخذ عنهما طريق القوم الخ

ثم انه جعل الوحي اقساما وضروبا كثيرة وذكر منها الكهانة والزجر - اي وهو اسفلها - ووحي التشريع الديني الخاص بالانبياء (ع . م) وما بينهما .

ثم ذكر ان بعض الفقراء من الاخوان سأله أن يملي على إلقاء الهاتف الذي سمعه جملة مما فهمه من آداب العبودية وآداب طلب العلم وآداب الفقراء عموما وخصوصاً

« ومايدخل على كل طائفة من الدسائس في مقاصدهم لان الشيطان لهم بالمرصاد ولا

ينجو منه الا القليل من عباد الله » وهذا محل الشاهد

وأقول ان هاتفه الذي جعله الاصل لهذا التأليف هو من دسائس الشيطان أيضاً فانه غير موافق للشرع المعصوم وفي هذا الكتاب كثير منها أيضاً وكذا كتابه الطبقات فهي من اشد الكتب إفساداً للدين أصوله وفروعه وآدابه بما فيها من وحي الشياطين ، فقد أصبح الملايين من المسلمين مشركين بالله تعالى بعبادة هؤلاء الذين يسمونهم الاولياء ، وقبول ما نقل عنهم من وحي الشياطين ، وهم يتبعون الدجالين ومدعي علم الغيب وقضاء الحوائج بالكرامات أو استخدام الجن وهؤلاء

الدجالون يسلبون أموالهم ، ويهتكون أعراضهم ، وفي نص كتاب الله تعالى ان الجن لايعلمون الغيب، وأصبح فريق آخر من المسلمين الذين تلقوا العلوم العصرية وتربوا تربية استقلالية ،يعتقدون ان الاسلام دين خرافي كغيره من الاديان

على أن من دعاة الاديان والنحل الجديدة المتولدة من التصوف من ألبسوا دعايتهم ثوب المدنية العصرية ، وهم يبثونها في بلاد الافرنج كالبهائية والقاديانية الاحمدية ، وكل خلابتهم مستمدة من تأويلات الصوفية الذين ادعوا الوحي وادعوا الالوهية من طريق وحدة الوجود وغيرها .

والامة الاسلامية قد جعلها الله وسطا بين الغالين والمقصرين، من المعطلين والمشركين ، فهي لا تعبد إلا الله ، ولا تؤمن بوحي ولا نبوة لأحد بعد محمد خاتم النبيين ، ولا بتشريع ديني الا ماجاء به عن الله، ولا بولاية إلا ما تقدم بيانه في كتاب الله ، وقد صار المعتصمون بهذا في أمثال هذه البلاد ،التي انتشر فيها ذلك الفساد ، جماعات قليلة الافراد ، فان لم ينصرها الله ضاع فيها الاسلام

﴿ استطراد ، في أصل الاسلام ، وما طرأ عليه من الفساد ﴾

﴿ من طريق السياسة والفلسفة والتصوف ﴾

أيها القارئ لهذا التفسير آن أن أصارحك بمسائل مختصرة هي ثمرة علم وعمل وعبادة ورياضة وتصوف وتعلم و تصنيف ومناظرات ومحاجة في مدة نصف قرن كامل ، لم يشغلني عنها من حظوظ الدنيا شاغل ، وانها الكلمات في حقيقة دين الله وعلمائه وعباده صادرة عن بصيرة وتجربة ، فتأملها باخلاص واستقلال فكر ، ولا يصدنك عن النظر فيها لذاتها والاعتماد في ثبوتها على مصادرها ،حرمان المعاصرة ، واحتقار الاحياء ، وتقديس شهرة الاموات ، و اتهام قائلها بالغرور والدعوى ، فان عرض لك ريب أو شبهة في شيء منها فارجع الى مصادرها ودلائلها ، أو ارجع الى كاتبها فاسأله عنها ، بشرط أن يكون غرضك معرفة الحق لذاته ، دون التعصب والجدل ، أو التحرف لمذهب أو التحيز الى فئة

(المسألة الاولى) ان هذا الدين (الاسلام) وحي إلهي الى نبي أمي ظهر في أمة أمية جاهلية ، ليعلمها الكتاب والحكمة ، ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة ، فيجعلها به معلمة وهادية لجميع شعوب التعطيل والاديان والفلسفة والحضارة ، وأن الله تعالى قد شهد في كتابه بأنه أكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لاحد ان يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ، ولا تشريعا مدنيا الا ما أذن به لاولي الامر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده ، فكان أعلم الناس وأفقههم به وأصحهم دعوة اليه بالعلم والعمل ، والحكم بين الناس بالحق والعدل ، أولئك الاميون الذين تلقوه عن ذلك النبي الامي صلوات الله وسلامه عليه ، وهم خلفاؤه وأصحابه (رض) فهذه احدى معجزاته إذ لو كان هذا الدين وضعا بشريا لكان كسائر العلوم والاعمال البشرية التي تظهر مبادئها الاولى ناقصة ثم تنمي (وفي لغة ضعيفة اشتهرت تنمو) وتتكامل بالتدرج ، فهذه سنة من السنن المطردة في علوم البشر

(المسألة الثانية) من البراهين العلمية الثابتة بالشواهد العملية ، على ان هذا الدين من عند الله تعالى ، ان المسلمين قد اهتدوا بإرشاده إلى البحث والنظر في جميع أمور العالم السماوي والارضي ولا سيما نوع الانسان وعلومه وفلسفته واديانه ونظمه وتشريعه وآداب شعوبه ، فازدادوا بكل من ذلك علما بحقية المسألة الاولى ، وظهر للراسخين في علمه ان ما أجمع عليه أولئك الاميون الاولون او أكثرهم هو الحق ، وأن كل ما خالف نصوصه القطعية من العقائد والآراء والافكار البشرية فهو باطل ، ومنه جميع نظريات المتكلمين العقلية ، وكشف فلسفة الصوفية الروحية ، وان المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة ، وما بينه من سنة الرسول المتبعة ، وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل فشو الابتداع والتفرق في الملة ، ثم ما أجمع عليه علماء الامصار من مجتهدي الامة ، وان يعذر بعضهم بعضا فيما لايخرج عن هذه الاصول من المسائل غير القطعية في الدين فلا يجعلوه سببا للتفرق والشقاق ، بالتعصب للمذاهب والشيع والاحزاب ، لئلا يكونوا ممن قال الله تعالى لرسوله فيهم (٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا

شيعا لست منهم في شيء) فاستحقوا وعيد قوله (٦ : ١٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) وقوله (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

(المسألة الثالثة) ان البدع التي فرقت الامة في أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة اتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل ، من حيث تدعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم بتأويل الكتاب والحديث، وأن بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة ، فهم أحق بأن يقلدوا ويتبعوا ،وانما يعلم الاعلم بالدليل لا بالتقليد ،وتفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل ، ولهذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الامم الثلاثة وهي السياسة والسلطان ، والعلم العقلي والعرفان ، وفلسفة التعبد والوجدان، وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف ، والكرامات الشاملة لدعوى التصرف في الكون ونقول في كل منها كلمة

(١) السياسة الدولية وكان مثارها الاول ماشجر بين الصحابة (رض) ثم كان أشدها إفسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الامة من أكثر العالم ، ومفاسدها لاتزال ماثلة ، بما للزعماء المستغلين لها من المنافع الدنيوية الزائلة ،وانها لعصبية قضتها السياسة، وستقضي عليها السياسة، وقد زالت السلطة الدينية من بعض ممالك المسلمين وبقي لها بقية في بعض ، وبعضها مذبذبة بين بين، ولا محل لبسط ذلك هنا ولا فائدة في هذا الوقت . إلا التذكير بأن المنتمين إلي مذاهب السنة قد غلبهم جهلة الاعاجم على خلافتهم بعد أن جعلوها عصبية وراثية فلم يعملوا أي عمل لتقويتها بعدضعفها ،ولا لإحيائها بعد موتها ،ولم يضعوا نظاما للاستعداد لذلك عندسنوح الفرصة كافعل الكاثوليك بنظام الفاتيكان البابوي ، وكان الزيدية من الشيعة المعتدلة أشد حزما واعتصاما منهم بنصب إمام بعد إمام لهم في جبال اليمن يتولونه ويقاتلون معه . بيد أنهم قصروا في وضع نظام لتعميم الدعوة ، والاستعداد له بالعلم والمال والقوة .

ولكن غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة فكان هذا أصل كل ابتداع مخرج من الملة ، اذ انتهى بأهله الى ادعاء الوحي وادعاء الالوهية ، فخرجوا من الملة سرا فعلانية

(٢) النظريات العقلية ، وتحكيمها في النصوص النقلية ، وكان أضرها وشرها ذلك التنازع بين أئمة الاتباع وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل ، ودعاة الابتداع من متكلمي نظار المعتزلة والجهمية ، ولولا تدخل سلطان العباسيين في نصر فريق على فريق ، لما وصلت إلى ذلك الحد من الشقاق والتفريق ، وقد ضعفت في هذا العصر في أكثر الامصار الاسلامية لانه ليس لها دول تنصر بعض اهلها على بعض ، ومتى توطدت حرية العلم كان النصر والفلج لاهل الحق، وسيموت ما بقي من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التي بني على قواعدها ونظرياتها ، بل هي قد ماتت وصارت من مواريث التاريخ العلمية ، ومات هو وإن بقيت له بقية تقليدية في بعض المدارس الاسلامية ، وسيخلفه علم آخر في حراسة العقائد من شبهات العلم وفلسفة هذا العصر ، مع اتقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين ومحاولة تحكيم كل منهما في الآخر ، كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا على كل منهما بما أضعف سلطان الدين في أداء وظيفته وهي تزكية النفس ، بما يوقفها عند حدود الحق والعدل ، والافضلية وعمل البر ، وأضعف سلطان العلم في أداء وظيفته وهي اظهار سنن الله في العالم وتسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس ، وفقا لما أرشدهم اليه القرآن ، وقول النبي ﷺ « أنتم اعلم بأمور دنياكم » رواه مسلم

ولو بقينا على تأويل المتكلمين لهان الامر ، لأنهم يجرون فيه على قواعد اللغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث ، ولكن نبتت نابتة ودعاية لتحكيم نظريات العلم العصري والنظريات العقلية في نصوص الكتاب والسنة ، لا بتأويل يوافق اللغة وأصول الشرع كما يقول المتكلمون ، بل بترك مدلولات الكتاب والسنة بأنها غير مرادة ولا يمكن العلم بالمراد منها ، ولبعض الدعاة الى هذا الالحاد في مصر كتب تطبع ومقالات تنشر في الصحف مصرحة بهذا ، ومشيخة الازهر تقرها لانها لا تفهمها

(٣) دعوى الكرامات والكشف ، وتحكيمه في عقائد الدين وعباداته

وآدابه وتفسير نصوصه ، وأحكام المعاملات والحلال والحرام ، وقد نجمت البدع من هذه الناحية صغيرة كقرون المعز ثم كبرت فصارت كقرون الوعول التي تناطح الصخور ، هاجمها علماء المنقول والمعقول يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم ، حتى اذا ماضعف العلم فصار تقليديا ، وضعف الحكم فصار إرثا جهليا ، وصار علماء الازهر مثل الشعراني ، وسلاطين مصر مثل قايتباي ، خضعت رقاب المسلمين لولاية مثل الشيخ محمد الحضري الذي يصعد المنبر في يوم الجمعة فيخطبهم فيقول « اشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام » ثم ينزل فيسل السيف فيهرب جميع المسلمين من المسجد فلم يتجرأ أحد على دخوله الى وقت العصر ، ويزعم الشعراني ان هذا الولي الشيطاني نفسه قد خطب خطبة الجمعة يومئذ في ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصري ، بناء على قاعدتهم ان الولي قد يتمثل بالصور الكثيرة في الامكنة المختلفة ، كالشياطين والملائكة وهم لايفرقون بينهما

ومثله ذلك الولي الذي كان يعارض القرآن بالهذيان والولي الذي كان يسكن في ماخور المومسات ، ليشفع لكل من يأتيهن عند الله ، ويمسكه عندهن الى ان يخبره كشفه بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له ، وكان من كراماته إتيان الاتان — فهذا الكفر والشرك والالحاد ، ومعارضة القرآن ، وكبائر الفسوق والعصيان هذا كله عنده وعند أمثاله من كرامات أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ويطيع أمرهم رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، كما نقله الشعراني عن الدسوقي ، وجملة القول انهم يتصرفون في أمور الدنيا والآخرة احياء وأمواتا ، وقد رسخت هذه الخرافات في قلوب الملايين من مسلمي مصر وأمثالها من الاقطار فهم يعتمدون على هؤلاء الاولياء في أمور دنياهم وآخرتهم

وانك لتجد أكثرهم يحتج على ذلك بالآية الكريمة التي ذكرنا هذا البيان في صدد تفسيرها وبقوله تعالى (لهم ما يشاؤن عند ربهم) فهم يزعمون انه لهؤلاء الاولياء الخياليين ، وان الله تعالى يعطيهم كل ما أرادوا لانفسهم ولغيرهم في الدنيا والآخرة كما يزعم الذين يقولون ان منهم أقطابا متصرفين (اومدركين) الكون كله ، وهذا افتراء على الله وتحريف لكتابه العزيز بما هو شرك به سبحانه وانما وردت

هذه الجملة في عدة سور في جزاء اهل الجنة في الجنة لا في أولياء الخيال الخرافي المزعوم راجع سورة النحل (١٦: ٣٠ - ٣٣ و سورة الفرقان (٢٥: ١٥ و ١٦) وسورة الزمر (٣٩: ٣٢ و ٣٣: ٢٠) وسورة الشورى (٤٢: ٢٠) وسورة ق (٥٠: ٣١ - ٣٥)

وجملة القول ان جميع هذه الفتن المضلة لكثير من الناس عن الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المبينة له على النهج الذي اهتدى به سلف هذه الامة الصالح لايقوم لشيء منها حجة عقلية ظاهرة ولا كشفية باطنة

(بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية ، بَلْهَ الباطنية)

أما النظريات العقلية التي يتأول النصوص لاجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التي بنيت عليها لعلماء هذا العصر وفلاسفته وقد أجمع هؤلاء على ان جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم لانها أرجح من غيرها في بابها ، ليس فيها شيء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التي لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان كما ثبت بطلان مثلها من مسلمات القرون الماضية إلى السنين الاخيرة من هذا القرن العشرين الميلادي التي ترجح فيها أن كل ما عرف في هذا الكون من مظاهر المادة والقوة هو مظهر لتركيب خاص مجهول لجزئي الكهرباء الايجابي والسلبي المعبر عنهما بكلمتي (البروتون والألكترون) فبطلت بهذا جميع النظريات العلمية في المادة والقوة، فكيف يجوز إذن تأويل نص ديني قطعي الرواية والدلالة في خبر عالم الغيب من الوحي الالهي ، لنظرية ظنية في عالم الشهادة من الرأي البشري ؟

واذا بطل تأويل علماء الكلام المتقدمين المبني على قواعد النظر العقلي ومراعاة مدلولات اللغة ، واشتراط عدم المخالفة لاصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية ، فأجدر بتأويلات الباطنية ان تكون أشد بطلانا لانها تحكم في اللغة بما لاتدل عليها مفرداتها ، ولا قواعد نحوها وبيانها ، وناقضة لاصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر ، والعمل الذي لا مجال للتأويل ولا للتحريف فيه ، كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين ،

والبهائية والقاديانية اللاحقين ، البهائية الذين يدعون الى ألوهية البها. ، والقاديانية الذين يدعون الى نبوة ميرزا غلام أحمد ، وكل منهما يستدل بالقرآن والحديث مخالفا لهتهما على دينه الجديد الذي غايته أن يتبعه الناس ويقدسوه

بطلان الاخذ بالكشف في الدين

وأما الكشف فهو ضرب من إدراك النفس الناطقة غير ثابت ولا مطرد قايس بدليل عقلي ولا شرعي، وانما هو ادراكات ناقصة تخطيء وتصيب، وقد عرفت أسبابه الطبيعية وإن منها ما هو فطري ، ومنها ما هو كسبي وصناعي ، كالتنويم المغناطيسي المعروف في هذا العصر، ومايسمونه قراءة الأفكار ومراسلة الأفكار، ويشبهونه بنقل الأخبار بخطوط الاسلاك الكهربائية وبدونها ، وهو يقع للمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، ويعترف به صوفية المسلمين لصوفية الهندوس وغيرهم، كما يعترفون بتلبيس الشياطين عليهم فيه ، وقلة من يميز بين الكشف الشيطاني والكشف الحقيقي منهم

ومن دلائل الخطأ والتلبيس والتخيلات في الكشف الذي يسمونه النوراني تعارض أهله وتناقضهم فيه ، وما يذكرونه فيه من معلوماتهم المختلفة باختلاف معلوماتهم الفنية والخرافية والشرعية ، فترى بعضهم يذكر في كشفه جبل قاف المحيط بالارض والحية المحيطة به كما تراه في ترجمة الشعراني للشيخ أبي مدين وهو من الخرافات التي لا حقيقة لها، ومنهم من يذكر في كشفه الافلاك وكواكبها على الطريقة اليونانية الباطلة أيضا. وأكثرهم يذكرون في كشفهم الاحاديث الموضوعة ، فان اعترض عليهم أو على المفتونين بكشفهم علماء الحديث قالوا ان الحديث قد صح في كشفنا وان لم يصح في رواياتكم وكشفنا أصح لأنه من علم اليقين وعلمكم ظني . والحاصل ان كشفنا هذا شأنه وشأن أهله إن صح ان يصدق فيما لا يخالف نصوص الشرع وعقائده وأحكامه فلا يصح لمن يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله أن يصدق منه ما يخالفها وان يثبت من أمر عالم الغيب مالم يثبت بها ، وما أغنانا عن هذا كله ، وفي جمع الجوامع أن الالهام — وهو الكشف الصحيح عندهم

« ليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره خلافا لبعض الصوفية » ولا يعتد بخلافهم لانهم خالفوا به الاصول كما خالفوا النصوص .

وأما الكرامات فهي نوع من خوارق العادات التي تروى عن جميع الامم المختلفة الاديان والملل ، وقد قال علماء الكلام انها تقع للمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبي والساحر ، ويختلف اسمها باختلاف من ظهرت على يديه فتسمى معجزة للنبي المرسل اذا تحدى بها وكرامة للرجل الصالح المتبع للرسول ومعونة لمن دونه من المؤمنين واستدراجا للكافر والفاسق

وصحت الاحاديث بأن الدجال يظهر على يديه من الخوارق الكبرى ماقلما كان مثله في المعجزات حتى احياء الموتى . وقل ثمة الصوفية العارفون اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تعتدوا به (او كلمة بهذا المعنى) حتى تروه عند الامر والنهي الشرعيين ، وقل مثل ذلك الملاطون منهم ، ففي الباب الثالث من كتاب (الانوار القدسية) للشعراني « وظهور الكرامات ليس بشرط في الولاية وانما يشرط امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، فيكون أمره مضبوطا على الكتاب والسنة فمن كان كذلك فالقرآن يشهد بولايته وان لم يعتقد فيه أحد » الخ وهذا عين ماحققناه في تفسير الآية . ومن خلطه أن أ كثر ماذكره من طبقاتهم يقتضي هذا كما علمت ويبطل ولاية أكثر رجال اهلها من العقلاء فضلا عن المجاذيب المجانين ، فانهم لايعدون من الاولياء العارفين ، لانهم غير مكلفين .

قال في الباب الاول منه « فلو رأينا الصوفي يتربع في الهواء لايعبأ به الا اذا امتثل أمر الله واجتنب نهيه في المحرمات الواردة في الكتاب والسنة مخاطبا بتركها كل الخلق المكلفين لا يخرج عن ذلك أحد منهم ، ومن ادعى ان بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه التكاليف الشرعية من غير ظهور امارة تصدقه على دعواه فهو كاذب . كمن يشطح من شهود في حضرة خيالية على الله وعلى أهل الله ولا يرفع بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقف عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عنده فهذا مطرود عن باب الحق ، مبعد عن مقعد الصدق ، وحرام

على الفقيه وغيره ان يسلم لمثل هذا » اه وهو يخالف هذا الحق من مواضع أخرى

ثم قال (في آخر ص ٨ منه) واعلم ان طريق القوم على وفق الكتاب والسنة فمن خالفهما خرج عن الصراط المستقيم كما قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد (رض) فلا تظن أنهم كانوا كحال غالب المنسوبين الى التصوف في هذا الزمان فتسيء الظن بهم انما كانوا رضي الله عنهم عالمين بأسرار الشريعة قائمين صائمين زاهدين ورعين خائفين وجلين كما يعلم ذلك من تراجمهم وطبقاتهم ، وانما أنكر من أنكر على المتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات منهم ، فكل قرن منهم بالنسبة لمن قبله يصح عليه الانكار اذ ادعى أنه على طريقة من كان قبله لان الناس لم يزالوا راجعين القهقرى واليه الاشارة بقوله ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث اه

أقول ان هذا التصوف قد ذر قرنه في أواخر القرن الثاني وظهر الشذوذ في المتحلين له في القرن الثالث . وقد قال الامام الشافعي الذي توفي سنة ٢٠٢ اذا تصوف الرجل في الصباح لا يأتي المساء أو قال العصر إلا وهو مجنون . وأنكر الامام أحمد الذي توفي سنة ٢٤١ بعده على خيارهم ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبي على التزامه الكتاب والسنة علما وعملا كما بيناه في تفسير سورة براءة ، وقد توفي الحارث في سنة ٢٤٣ وهو أستاذ أكابر البغداديين وممن أخذ عنه سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد . فاذا قلنا إن الشعراني يعد أهل قرنه العاشر في الدرجة السادسة من المتشبهين بالصوفية فالظاهر أنه يعد أهل القرن الخامس أول المتشبهين الذين ينكر عليهم . وقد أنكر الغزالي في كتاب الغرور من الاحياء على المتشبهين بهم وعد منهم فرقا من أهل المكاشفات ، وكان ذلك في أواخر القرن الخامس فان الغزالي توفي سنة ٥٠٥ وكان قد تاب الى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع الى علم السنة ، ثم ان ابن الحاج المالكي المتوفى سنة ٧٣٧ تكلم في كتابه المدخل على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره في القرن الثامن وبين ما لهم من المنكرات ، وفند ما يدعونه من الكرامات .

وقام في هذا القرن أيضا شيخ الاسلام ، مدره السنة الاكبر ، وقامع البدع الاقهر ، أحمد بن تيمية فبذ من قبله ، وأغنى عمن جاء بعده ، وعلى كتبه وكتب تلميذه ابن القيم المعول

تفضيل أهل الحديث على غيرهم

ومما كتبه الشعراني في كتابه هذا من الحق بين الاباطيل قوله في الباب الثاني من كتابه المذكور — وهو في طلب العلم — ما نصه :

« واعلم أنه ما مت بالارث للانبياء عليهم السلام على الحقيقة الا المحدثون الذين رووا الاحاديث بالسند المتصل الى النبي ﷺ كما قاله شيخنا فلهم حظ في الرسالة لأنهم نقلة الوحي وهم ورثة الانبياء في التبليغ ، والفقهاء بلا معرفة دليلهم ليس لهم هذه الدرجة فلا يحشرون مع الرسل انما يحشرون في عامة الناس ، فلا ينطبق اسم العلماء حقيقة الا على أهل الحديث . وكذلك العباد والزهاد وغيرهم من أهل الآخرة اذا لم يكونوا من أهل الحديث حكمهم حكم الفقهاء الذين ليسوا من أهل الحديث فيحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم بأعمالهم الصالحة لا غير ، كما ان الفقهاء يمتازون عن العامة في الدنيا ، لا غير » اه ولكن بعض من يسمون كبار العلماء في زماننا يفضلون خرافات المتشبهين بالمتصوفة في الدرجة السادسة الى العاشرة وآراء مقلدي الفقهاء في الدرجة الخامسة على علماء الحديث وفقهائه وحكمائه ، ويطعنون في المحدثين وكل من يهتدي بالحديث قولا وكتابة، بل صرح بعضهم بأن من يعمل بالحديث فهو زنديق !!

اقرار متقدمي الصوفية ومتأخريهم بوجوب اتباع السلف

تواتر عن شيوخ الصوفية المتقدمين ان أصل طريقهم اتباع الكتاب والسنة وموافقة السلف كما تقدم آنفا ، ونجد مثل هذا في كلام الصوفية الشاذين الذين خلطوا البدع بالسنن وزعموا أنهم يأخذون علومهم عن الله الحي الذي لا يموت مباشرة وان علماء التفسير والحديث يأخذون علومهم عن الميتين كالفقهاء والمتكلمين ، وهذا أساس الابتداع بل المروق من الدين. ومما نقله الشعراني عن الشيخ ابراهيم الدسوقي من الخلط بين الحق والباطل ما نصه :

« وكان (رض) يقول اسلم التفسير ما كان مرويا عن السلف ، وأنكره مافتح به على القلوب في كل عصر ، ولولا محرك يحرك قلوبنا لما نطقت الا بما

ورد عن السلف فاذا حرك قلوبنا وارد استفتحنا باب ربنا وسألناه الفهم في كلامه فنتكلم في ذلك الوقت بقدر مايفتحه على قلوبنا ، فسلموا لنا تسلموا ، فاننا تجارة فارغة ، والعلم علم الله تعالى » اﻫ

أقول من أين نعلم أو يعلمون هم أن خواطرهم التي يسمونها الواردات من الالهام الالهي لا من الوسواس الشيطاني، وكيف نسلم لهم مالا نعلم، والالهام الصحيح ليس بحجة كما تقدم ؟ ثم كيف لا ننكر عليهم مانراه مخالفا للكتاب والسنة وآثار السلف ، وموافقا لالحاد الباطنية أو بدع الخلف ، وانا وإياهم متفقون على انه هو الحق الذي لا يصح الخلاف فيه ؟

فثبت اذاً ان أولياء الله تعالى الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، هم من عرفهم تعالى بقوله الحق (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وانهم درجات كما بينها الله تعالى في قوله (٣٥ : ٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) فالظالم لنفسه من يقصر في اتباع الكتاب ولو بترك بعض الفضائل ، والمقتصد من يترك مانهى عنه ، ويفعل ما أمر به من الواجبات القاصرة على نفسه ، والسابق بالخيرات من يزيد على ذلك التقرب بالنوافل ، والتكمل بالفضائل ، والجمع بين التعلم والتعليم والتأديب والتأديب ، حتى يكون إماما للمتقين ، فهذه درجة المقربين من شهداء الله والصديقين ، وما قبلها درجة الصالحين من الابرار أصحاب اليمين ، فراجع سورتي الواقعة والمطففين ، ففيهما بيان لقوله تعالى (٤ : ٦٩ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهي تفسير لدعائك في كل ركعة بقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وبهذا تقوم حجة الله على العالمين ، بان هذا الدين تنزيل من رب العالمين ، وقد أكمله لنا قبل أن يقبض الله رسوله محمدا خاتم النبيين ﷺ وإنه لو صح شيء مما ابتدعه الناس فيه بفلسفتهم العقلية أو النفسية او عما ادعوه من الكشف لما صحت شهادة الله باكماله ، ولا أنه من عنده لا من عند أحد من خلقه ، وهذا كل غرضنا من هذا البحث ، وقد ظهر به الحق ولله الحمد

(٦٥) وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
(٦٦) أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ
(٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

بعد ان بين الله تعالى لرسوله حال أوليائه وصفتهم وما بشرهم به في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وكونه لاتبديل لكلماته فيما بشرهم ووعدهم كما انه لاتبديل لما فيما أوعد به أعداءه المشركين ، وكان هذا يتضمن الوعد بنصره ونصر من آمن له وهم أولياء الله وأنصار دينه على ضعفهم وفقرهم وكانت العزة أي القوة والغلبة في مكة لاتزال للمشركين بكثرتهم التي يعبرون عنها بقولهم : وانما العزة للكاثر ، وكانوا لغرورهم بكثرتهم وثروتهم يكذبون بوعد الله وكان ذلك يحزنه ﷺ بالطبع كما قال (٦: ٣٣ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك) الآية قال تعالى مسليا له ومؤكداً وعده له ولأوليائه ، ووعيده لأعدائهم وأعدائه :

٦٥ ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ نهاه عن الحزن والغم من قولهم الذي يقولونه في تكذيبه المتقدم مفصلا من هذه السورة فحذف مقول القول للعلم به وبين له سبب هذا النهي بقوله ﴿ إن العزة لله جميعا ﴾ أي ان الغلبة والقوة والمنعة لله جميعها لا يملك أحد من دونه شيئا منها ، فهو يهبها لمن يشاء ويحرمها من يشاء ، وليست الكثرة دائما كما يدعون ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وقد وعد بها رسله والذين آمنوا بهم واتبعوهم من أوليائه ، كما قال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز * إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزته تعالى ذاتية له ، وعزة رسوله

والمؤمنين به ومنه عز وجل ، كما قال (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) وقرأ نافع (يحزنك) بضم الياء من أحزنه وهي لغة وقرئ (أن العزة) بفتح همزة إن لحذف لامها وهي للتعليل الذي تدل عليه قراءة الجمهور بالكسر على الاستئناف البياني.

﴿ هو السميع ﴾ لما يقولون من تكذيب بالحق وادعاء الشرك ﴿ العليم ﴾ بما يعملون من إيذاء وكيد ومكر ، فهو يذلهم ويحبط أعمالهم ، وهو استئناف آخر في تقرير مضمون الاول وهو تسليته ﷺ وتأكيد وعده بالعزة ووعيد تكذيبه. ثم استدل على كون العزة له جميعا والجزاء بيده بقوله مستأنفا أيضا ومفتتحا بأداة التنبيه

٦٦ ﴿ ألا إن لله من في السموات ومن في الارض ﴾ من عابد ومعبود فهو ربهم ومالكهم وهم عبيده المربوبون المملوكون له ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ له في ربوبيته وملكه ، أي ان هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله بدعائهم في الشدائد ، واستغاثتهم في النوازل ، والتقرب اليهم بالنذور والقرابين والوسائل ، لا يتبعون شركاء له في تدبير أمور عباده ينفعونهم أو يكشفون الضر عنهم اذ لا شركاء له ، ﴿ ان يتبعون إلا الظن ﴾ أي ما يتبعون في الحقيقة إلا ظنهم أن هؤلاء الذين يدعونهم أولياء لله وشفعاء عنده ، فهم يتوسلون بهم وبتماثيلهم اليه ، لأنهم يقيسونه على ملوكهم الظالمين المتكبرين ، الذين لا يصل اليهم أحد من رعاياهم إلا بوسائل حجابه ووسائطه ووزرائه ﴿ وإن هم إلا يخرصون ﴾ أي وما هم في اتباع هذا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، إلا يخرصون خرصا ، أي يحزرون حزرا ، أو يكذبون كذبا ، أصل الخرص الحزر والتقدير للشيء الذي لا يجري على قياس من وزن أو كيل أو ذرع ، بل هو كخرص الثمر على الشجر والحب في الزرع ، ولكثرة الخطأ فيه أطلق على لازمه الغالب وهو الكذب ، فالظن الذي يبنى عليه يكون من أضعف الظن وأبعده عن الحق ، ومثاله ما ذكرناه آنفا من قياس الرب في تدبير أمور عباده على الملوك ، وهذا قياس شيطاني سمعته من جميع طبقات الجاهلين لعقائد الاسلام ، وتوحيد الرحمن ، حتى من يلقبون بالعلماء وبالباشوات ، ومثله قولهم في وسائلهم الذين يسمونهم الاولياء : ان الله يحبهم ، وكل من يحب أحدا فانه يقبل وساطته

وشفاعته ، فيقيسون تأثير عباد الله الصالحين عنده تعالى، على تأثير أصدقاء الملوك والوجهاء ومعشوقيهم في قبولهم منهم جميع ما يطلبونه ، ويجهلون ان أفعال الله تعالى انما تجري بمقتضى مشيئته الازلية على وفق علمه الذاتي المحيط وحكمته البالغة العادلة ، وان صفاته تعالى كاملة أزلية لاتؤثر فيها الحوادث ، وان جميع أوليائه وأنبيائه وملائكته عبيد مملوكون له (١٧ : ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) أي ان أقرب أولئك الذين يدعونهم ويتوسلون اليه تعالى بهم كالمسيح والملائكة ومن دونهم ،هم يتوسلون اليه راجين خائفين، لا كأعوان الملوك الذين لايقوم أمر ملكهم بدونهم،ومعشوقيهم الذين لايتم تمتعهم الشهواني إلا بهم

٦٧ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ هذا استدلال على مضمون ما قبله من نفي وجود شركاء له في الخلق والتقدير ، ولا بالشفاعة عنده في التصرف والتدبير ، أي هو الذي جعل لكم الوقت قسمين بمقتضى علمه ومشيئته بدون مساعد ولا شفيع ، بل بمحض الحكمة البالغة والرحمة الشاملة : أحدهما الليل جعله مظلما لاجل أن تسكنوا فيه بعد طول الحركة والتقلب في الارض، وتستريحوا من التعب في طلب الرزق ، وثانيهما النهار جعله مضيئا ذا إبصار لتنتشروا في الارض،وتقوموا بجميع أعمال العمران والكسب ، والشكر للرب، فالمبصر هنا معطي الابصار سببه حسيا كان أو معنويا ،فالاول قوله تعالى (١٧ : ١٢ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم) الآية — والثاني قوله في هذه السورة أيضا (٥٩ وآتينا ثمود الناقة مبصرة)أي آية مفيدة للبصيرة والحجة على صدق رسولهم ، ومثله قوله في سورة النمل (٢٧ : ١٣ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين)

وقال قطرب : تقول العرب : أظلم الليل وأبصر النهار وأضاء بمعنى صار ذا ظلمة وذا إبصار وذا ضياء،اه وقد تكرر التذكير في التنزيل بآيات الله في الليل والنهار من خلقهما وتقديرهما ومنافع الناس فيهما ، وفي هذه الآية احتباك وهو انه حذف من كل من آيتي الليل والنهار ما أثبت مقابله في الاخرى والعكس. وفي قوله

تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ مثله ، أي ان فيما ذكر لدلائل بينات، وآيات أي آيات، على وحدانيته في الذات والصفات، لقوم يسمعون مايتلى عليهم من التذكير بحكمه تعالى ونعمه فيها سماع فقه وتدبر ، ويبصرون مافي الكائنات من السنن الحكيمة إبصار تأمل ، ، ذكر الآيات السمعية المناسبة لليل الذي قدم ذكره ، وهي تدل على الآيات البصرية المناسبة للنهار وتذكر بها ، وهو أبلغ الايجاز ، وقد جمع بينهما في مقام الاطناب من سورة القصص بقوله (٢٨ : ٧١ قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة ـ من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ ٧٢ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟ ٧٣ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وحسن بذلك الاطناب تفسيراً لما هنا من الايجاز، ولكل منهما موقعه من بلاغة الاعجاز

(٦٨) قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ، لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَا ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٧٠) مَتَـٰعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

هذه الآيات حكاية لنوع آخر من الكفر بالله تعالى قريب من كفر اتخاذ الشركاء له، وهو زعمهم انه اتخذ ولدا ، وقد اشترك فيه عباد الاصنام والاوثان وبعض أهل الكتاب، فحكاه عنهم مفصولا لانه نوع مستقل وتعقبه بالابطال

٦٨ ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ فزعم المشركون أن الملائكة بنات الله، وقالت

النصارى : المسيح ابن الله ، وقال بعض اليهود : عزير ابن الله ، يضاهئون به قول قدماء الهنود وغيرهم من الوثنيين من قبلهم ، وقد رد الله تعالى عليه بقوله ﴿ سبحانه ﴾ كلمة التسبيح معناها التنزيه والتقديس أي تسبيحاً له عز وجل عن كل مالا يليق بربوبيته وألوهيته ، وتقال في مقام التعجب ، ويصح هنا جمع المعنيين كليهما . وقفى على هـذا التنزيه والتعجب بما يدل على بطلان قولهم بأفواههم ماليس لهم به علم فقال ﴿ هو الغني له مافي السموات وما في الارض ﴾ أي هو الغني بذاته عن الولد، لأن كل مافي الوجود من العالم العلوي والسفلي ملك وعبيد له لايحتاج منها الى شيء ، ويحتاج اليه كل شيء، ولا يشبهه أو يجانسه منها شيء ، فالانسان يحتاج الى الولد لامور منها بقاء ذكره به وبذريته، ومنها انه قوة وعصبة له يعتز به هو وعشيرته ، ومنها ان وجوده زينة له في داره يلهو به في صغره، ويفاخر به أقرانه في كبره ، ومنها أنه قد يحتاج اليه لقضاء مصالحه وتنمية ثروته ، وقد يحتاج الى رفده وبره ، عند عجزه أو فقره ، والله تعالى لا يحتاج الى شيء من هذه المنافع لانه هو الغني عن كل شيء بذاته لذاته أزلا وأبداً ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا ﴾ « إن » هنا نافية و « من » مؤكدة لهذا النفي مفيدة لعمومه ، والسلطان الحجة والبرهان . والجملة تجهيل لهم ورد عليهم ، أي ماعندكم أي نوع من أنواع الدليل والبرهان متعلق بهذا القول الذي تقولونه من غير عقل ولا علم ولا وحي إلهي ، تعارضون به هذا البرهان العقلي ، وهو تنزيه الله وغناه المطلق عن الولد وغيره، وكونه المالك لكل شيء مما في السموات والارض ﴿ أتقولون على الله مالاتعلمون ﴾ هذا استفهام تبكيت وتوبيخ على أقبح الجهل والكفر ، وهو قولهم على الله تعالى ماليس لهم به علم ، ولا سيما بعد مجيء ماينقضه من العلم البرهاني والوحي الالهي ، قال البيضاوي وغيره : وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة ، وان العقائد لابد لها من قاطع ، وان التقليد فيها غير سائغ اهـ وقد تقدم حكاية اتخاذ الولد عن الكفار عامة وعن النصارى خاصة في سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام ، وسيأتي في سور أخرى مع ابطاله وتفنيده بالادلة ووجوه

الحجة المختلفة الاساليب ، أو التقريع والتأنيب ، والانذار والوعيد(١)

٦٩﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ باتخاذهم الشركاء له ، أو بزعمهم اتخاذه ولدا لنفسه ، أو بغير ذلك من التحليل والتحريم ، وغيرهما من مسائل التشريع ، أو بدعوى ولايته وإطلاعه إياهم على أسرار خلقه وتصريفه لهم في ملكه ، وقد تقدم بعضه في هذه السورة كالآيات ١٧ و ٥٩ و ٦٠ ﴿ لا يفلحون ﴾ أي لا يفوزون بما يؤملون من النجاة من عذاب الآخرة والتمتع بنعيمها بشفاعة الولد أو الشركاء الذين اتخذوهم له تعالى أو فدائهم لهم من عذاب النار

٧٠﴿ متاع في الدنيا ﴾ هذا جواب لسؤال مقدر قد يرد على نفي فلاحهم بالاطلاق الذي يدخل فيه منافع الدنيا ، والمفترون على الله بكل نوع من أنواع الافتراء المقبولة عند الجاهلين ـ لهم كثير من المنافع المادية والمعنوية من هؤلاء الساكين ، وأكثر البشر لا يزالون جاهلين يخضعون لهؤلاء الزعماء الملبسين ، فهو يقول هذا متاع قليل ـ أو لهم متاع في الدنيا حقير ، يتلهون به في حياة قصيرة فأما قلته وحقارته فيدل عليها تنكيره مع القرينة ، وأما قصر الحياة التي يكون في بعضها فمعلوم بالاختبار ، فمهما يبلغ هذا المتاع من كثرة المال وعظمة الجاه في هذه الحياة ، فلا يكون الا قليلا بالنسبة الى ماعند الله في الآخرة للصادقين المتقين كما صرحت به الآيات الكثيرة ، وبالنسبة الى مالهم من ضد ذلك كما صرح به في قوله ﴿ ثم الينا مرجعهم ﴾ بالبعث بعد الموت ، وما فيه من أهوال الحشر والحساب والعرض ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ بآياتنا ونعمنا ، وبالافتراء علينا ، وتكذيب رسلنا ، او الكذب عليهم بعد ان تقوم عليهم الحجة في الحساب بأنهم يستحقونه بظلمهم لانفسهم واننا لا نظلمهم شيئا ، وتقدم ذكر الرجوع اليه تعالى وما يليه من الجزاء في هذه السورة وغيرها

(١) راجع سورة مريم (١٩ : ٨٨ ـ ٩٥) وسورة الانبياء (٢١ : ٢٦ ـ ٢٩).

(٧١) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنْ كَانَ
كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ،
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَٰتِنَا، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ

هذا سياق جديد متصل بما سبق من مقاصد هذه السورة أتم الاتصال ، بتفصيله لبعض مافيها من اجمال ، وهو الاحتجاج على مشركي مكة وما حولها وسائر من تبلغهم الدعوة من المكذبين ، بأن الله تعالى سيخذ لهم وينصر رسوله عليهم كما نصر من قبله من الرسل على أقوامهم المجرمين ، فأهلكهم وأنجى المؤمنين، فقد تقدم في أوائلها قوله (١٣ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) الى آخر الآية ١٤ ثم قال في الرد على تكذيبهم إياه بما وعدهم من العذاب (٣٩ كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ثم قال (٤٧ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) جاء هذا في سياق اقامة الحجج العقلية على صدق الرسول ﷺ في دعوى الوحي وكون القرآن من عند الله لا من عنده ورأيه وكلامه، والحجج على مضمون الدعوى من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء والتفنن فيها، والتكرار البليغ لمقاصدها، وانذار اولئك المكذبين بها فناسب ان يفصل لهم شيئا من ذلك الاجمال من هذا الوجه فجاء به معطوفا لانه مرتبط به متمم له ، بخلاف سرد قصص الرسل في سورة الاعراف حيث بدأه بقوله (٧ : ٥٩ لقد أرسلنا نوحا الى قومه) لان هذه القصص أوردت هناك مستقلة

لا تفسيرا ولا تفصيلا لمجمل قبلها وأما مناسبة هذه الآيات لما قبلها مباشرة بكونها من جنس موضوعها العام فلا تدل على هذه الخصوصية العلمية التي بها كانت البلاغة فلسفة عقلية نفسية. قال عز وجل:

٧١ ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ أي واقرأ ايها الرسول على هؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك، فيما أوعدتهم من عقاب الله لهم على سابق سنته في المكذبين لرسله من قبلك، خبر نوح ذي الشأن العظيم ﴿ إذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ﴾ أي نبأه حين قال لهم هذا القول فكذبوه فأغرقناهم ونجيناه هو ومن آمن معه وجعلناهم خلائف الارض — لاجميع أنباء قصته معهم (المفصلة في سورة هود التي نزلت قبل هذه السورة ووضعت بعدها في المصحف) ليعلموا من هذا النبأ الخاص سنته تعالى في نصر رسله على المكذبين من قبلهم، وانه كذلك ينصرك عليهم، فيهلك المكذبين لك المغرورين بكثرتهم وقوتهم، وقلة من اتبعك وضعفهم وان هؤلاء الضعفاء سيكونون خلائف الارض في قومهم وغير قومهم من سكان الارض، قال نوح عليه السلام لقومه بعد ان طال مكثه فيهم يدعوهم الى توحيد الله وعبادته وحده والاصلاح في الارض فلوا مقامه، وسئموا وعظه وائتمروا به: يا قومي ان كان قد كبر أي شق وعظم عليكم قيامي فيكم، أو مكاني من القيام بما أقوم به من دعوتكم الى عبادة ربكم، وتذكيري اياكم بآياته الدالة على وحدانيته، ووجوب عبادته وشكره، والرجاء في ثوابه للمؤمنين المتقين، والخوف من عقابه للمشركين المجرمين — التذكير يطلق على الاعلام بالآيات والدلائل في أنفس الناس وفي الآفاق فيدركها العقل وتقتضيها الفطرة، حتى يكون بيانها تذكيرا أو كالتذكير لمن فقهها بشيء كان يعرفه بالقوة، فعرفه بالفعل، ويطلق على الوعظ والنصح المشتمل على عواقب الامور، وسيأتي في السورة التالية قوله لهم (١١ : ٣٤ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية

﴿ فعلى الله توكلت ﴾ دون غيره من قومي الذين تستضعفونهم وغيرهم، أي ان كان كبر عليكم ذلك وأردتم التفصي منه بالايقاع بي فانني قد وكلت أمري إلى

الله الذي أرسلني واعتمدت عليه وحده بعد أن أديت رسالته بقدر طاقتي ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ من أجمع الامر كالسفر والصيام وغيرهما وأجمع عليه اذا عزم عليه عزما لا تردد فيه قيل أصله جمع ما تفرق من أسبابه ومقدماته، وأجمع القوم على الشيء اتفقوا عليه كلهم لم يشذ أحد منهم ، أي أجمعوا ما تريدون من أمركم مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله لا تتفرقوا فيه ،وقيل التقدير وادعوا شركاءكم ليعينوكم كما تزعمون كما أدعو ربي وأتوكل عليه ﴿ ثم لا يكن أمركم ﴾ الذي تعتزمونه ﴿ عليكم غمة ﴾ أي خفيا فيه شيء من الحيرة او اللبس الذي يقتضي التردد في الانفاذ، بعد العزم والاجماع ، بل كونوا على علم وبصيرة فيه لكيلا تتحولوا عنه بظهور الخطأ أو التردد في كونه هو الصواب ﴿ ثم اقضوا إلي ﴾ ذلك الامر بعد اجماعه واعتزامه وبعد استبانته التامة التي لا غمة فيها ولا التباس بأن تنفذوه بالفعل ، فالقضاء يطلق بمعنى أداء الشيء وتنفيذه واتمامه ومنه (فلما قضى موسى الاجل * فمنهم من قضى نحبه * فلما قضى زيد منها وطرا) وتعديته بالى لافادة ابلاغه وإيصاله الى متعلقه بالفعل كما قال في أوائل السورة (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) ويطلق بمعنى الحكم بالشيء واذا عدي هذا بالى يفيد تبليغ خبره كقوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) الخ وقوله (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) ﴿ ولا تنظرون ﴾ أي لا تمهلوني بتأخير هذا القضاء وتنفيذه بعد استيفاء تلك المقدمات كلها

هذه الآية من أبلغ آيات القرآن عبارة وأجمعها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم النفس، ودرجة إيمان الانبياء المرسلين وثقتهم بالله عز وجل، وشجاعتهم، واحتقارهم لكل ما في الحياة الدنيا من أسباب الخوف من غيره والرجاء فيما سواه، وبيان خاتمهم لسنته تعالى فيهم وفي أقوامهم، وحسن وعظه لهم بوحي ربه تعالى، فهو يضرب لحاله ومقامه معهم مثل نوح مع قومه في غرور كل منهم بكثرتهم وقوتهم وتكذيبهم واحتقارهم لرسوله ولمن آمن معه من الضعفاء والفقراء ، ولما

يمتاز به كل من المرسلين من التوكل على الله والاعتماد عليه في النصر والعزة وحسن العاقبة ، والجزم باهلاك المصرين على تكذيبه ونجاة المؤمنين المتبعين له بجعلهم خلائف الارض وأصحاب السلطان فيها

صورت الآية لاهل مكة البلغاء هذه المعاني بمطالبة نوح عليه السلام لقومه على كثرتهم وقوتهم -المشهور في تواريخ الامم وظواهر الكتب المقدسة أنهم جميع أهل الارض- بأن يفعلوا مااستطاعوا من الايقاع به واكتفاء أمره ، والاستراحة من دعوته ، مطالبة القوي العزيز المدل ببأسه ،المعتصم بايمانه بوعد ربه وتوكله عليه للضعيف العاجز عن تنفيذ مراده مهما يكن من استيفائه لجميع أسبابه الطبيعية والكسبية ، اذ أمرهم في المرتبة الاولى باجماع أمرهم بالعزيمة الصادقة وقوة الارادة الجازمة حتى لايكون شيء من موجباتها متفرقا بينهم ، وان يضموا الى هذه القوة النفسية الكسبية قوة الايمان المعنوية بشركائهم وآلهتهم ، ولما كانت العزيمة الصادقة المجمعة قد يعرض لها الوهن أو العلل المقتضية للفسخ قبل التنفيذ نهاهم أن يكون في أمرهم الذي أجمعوا شيء من الغمة والخفاء الذي يقتضي ذلك

(فان قيل) ان إجماع العزم في الامر لا يكون بعد الجزم بالعلم بالمقتضي له الباعث عليه ، اذ لو كان الامر غمة امتنع إجماعه كما يمتنع إجماع الصيام من الليل في أول رمضان اذا غم الهلال في ليلة الثلاثين من شعبان ولهذا قال ﷺ «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ورواه غيرهم عن غيره ،فالامر باجماع الامر يغني عن النهي ان يكون غمة فما حكمة ذكره بعده وعطفه عليه بثم الدالة على تأخره عنه في الرتبة ؟ (قلت) يكفي في إجماع الامر على الايقاع بنوح عليه السلام ان يعتقدوا انه مصلحة لهم غير معارضة بمفسدة أرجح منها ، وهذا لا يمنع ان يعرض لهم قبل تنفيذه شيء من الغمة والحيرة المقتضية للفسخ أو التردد ، فمن ثم اقتضت المبالغة في أمر التعجيز المذكور ان يؤكد بهذا النهي عن الغمة في المستقبل واقتضت البلاغة ان يعطف بثم لان مرتبته متأخرة عن مرتبة ذلك الامر ومايستلزمه من العلم بالمقتضي له ، كما ان مرتبة قضاء ذلك الامر وتنفيذه متأخرة عن مرتبة الامر

الاول والنهي كانتيهما ولذلك عطفت عليها معا بثم، وأكد هذا الامر الثاني بالنهي عن الانظار معطوفا بالواو التي تفيد مطلق الجمع لا لمحاذر منها ولا ترتيب بينهما

وقرأ نافع (فاجمعوا أمركم) بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع أي اجمعوا ماتفرق منه، و على هذا يكون قوله (وشركاءكم) مفعولا به معطوفا عليه. لا مفعولا معه، وقرأ الحسن وابن أبي اسحق وأبو عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي (وشركاؤكم) بالرفع أي أنتم وشركاؤكم. وهذه القراءة شاذة مخالفة لخط المصحف الامام فلا تتلى في الصلاة وقرئ «أفضوا الي» من الافضاء الى الشيء وهو الوصول والانتهاء اليه مباشرة، والظاهر أنها تصحيف وان كان المعنى المراد واحداً لا يختلف

٧٢﴿ فان توليتم ﴾ أي انصرفتم عني مصرين على إعراضكم عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي فما سألتكم على هذا التذكير ولا على غيره من مسائل الدعوة والنصح أدنى شيء من الاجر والمكافآت فتتولوا لثقله عليكم، او فيضرني أن يفوت علي وأحرمه فأبالي بتوليكم. ﴿ان أجري إلا على الله﴾ أي ما أجري وثوابي على دعوتكم وتذكيركم إلا على الله الذي أرسلني اليكم، فهو يوفينيه إياه سواء آمنتم أو توليتم ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ أي المنقادين المذعنين بالفعل لما أدعوكم إليه أسلمتم أم كفرتم، فلا أترك شيئا مما أمرتكم به (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)

٧٣﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك ﴾ أي فأصروا على تكذيبه بعد أن أقام لهم الحجة بقوله وعمله على حقية دعوته، وبراءته من كل خوف منهم اذا كذبوا، ورجاء فيهم اذا آمنوا، فنجيناه هو ومن آمن معه في السفينة التي كان يصنعها بأمرنا لاجل ذلك. ولفظ الفلك هنا مفرد وهو السفينة كما عبر به في سورة العنكبوت. وهو يطلق على الجمع أيضا كما قال [وترى الفلك مواخر فيه] ويفرق بينهما بالقرائن، ان لم توصف بالجمع كالمواخر ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ من المكذبين في الارض كلها على قلتهم ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ ممن أنذرهم وأوعدهم من العذاب أي وأغرقناهم لانهم كذبوا بآياتنا ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾

أي فانظر أيها الرسول بعين بصيرتك وعقلك كيف كانت عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم وقوع عذاب الله عليهم فأصروا على تكذيبه ، فكذا تكون عاقبة من يصرون على تكذيبك من قومك ، وكذلك تكون عاقبة المؤمنين المتبعين لك ،

قدم ذكر تنجية المؤمنين واستخلافهم على إغراق المكذبين وقطع دابرهم، لانه هو الاهم في سياق صدق الوعد والوعيد من وجهين : أولهما تقديم مصداق الوعد لتسلية النبي ﷺ وتسرية حزنه على قومه ومنهم، وثانيهما كونه هو الاظهر في الحجة على أنهما (أي الوعد والوعيد) من الله تعالى القادر على ايقاعهما على خلاف مايعتقد المشركون المكذبون المغرورون بكثرتهم وقلة أتباع النبي ﷺ وخلاف الاصل المعهود في المصائب العامة في العادة وهو أنها تصيب الصالح والطالح على سواء ، فلا تمييز فيها ولا استثناء ، ولكنه هو الذي جرت به سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من بعد نوح فكان آية لهم ، فلولا أن الامر بيد الله على وفق وعده ووعيده لما هلك الالوف الكثيرون ، ونجا أفراد قليلون لهم صفة خاصة أخرجهم منهم تصديقا لخبر رسولهم ،وما سيق هذا النبأ هنا الا لتقرير هذا المعنى، وغفل عنه الباحثون عن نكتة البلاغة في العدول عن الضمير الى الاسم الموصول فقالوا انها تعجيل المسرة للمؤمنين والايذان بأن الرحمة مقدمة على العذاب ، ولكن ماقلناه هو المقصود الاول لذاته الذي يقتضيه السياق والحمد لله ملهم الصوب.

---

(٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ، كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ

بين الله تعالى في هذه الآية عبرة أخرى من عبر مكذبي الرسل وسنة من سننه فيهم تكملة لما بينه في حال قوم نوح مع رسولهم عسى أن يعتبر بها أهل مكة فيعلموا كيف يتقون عاقبة المكذبين من قوم نوح وغيرهم، فان كل سوء وضر علم سببه أمكن اتقاؤه باتقاء سببه اذا كان من عمل الناس الاختياري كالكفر والاعتداء والظلم

٧٤ ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم ﴾ أي بعثنا من بعد نوح رسلا مثله

الى أقوامهم الذين كانوا مثل قومه فيما يأتي من خبرهم معهم، ولهذا أفرد كلمة قومهم فيما يظهر لنا منه. والمراد أرسلنا كل رسول منهم الى قومه كهود الى عاد وصالح الى ثمود ، ولم يرسل رسول منهم الى كل الاقوام الذين كانوا في زمانه الا شعيباً أرسل الى قومه أهل مدين والى جيرانهم أصحاب المؤتفكة لاتحادهما في اللغة والوطن، وانما

أرسل محمد وحده الى الناس كافة ﴿ فجاءوهم بالبينات ﴾ أي فجاء كل رسول منهم قومه بالبينات الدالة على رسالته وصحة مادعاهم اليه بحسب أفهامهم وأحوالهم العقلية

﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ أي فما كان من شأنهم أن يؤمن المتأخر منهم بما كذب به المتقدم من قبل ممن كان مثله في سبب كفره وهو استكبار

الرؤساء ، وتقليد الدهماء للآباء والاجداد ﴿ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ أي مثل هذا الطبع وعلى غرار هذه السنة التي اطردت فيهم نطبع على قلوب المعتدين مثلهم في كل قوم كقومك أيها الرسول اذا كانوا مثلهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا * ولن تجد لسنة الله تبديلا) فأما الطبع على القلوب فهو عبارة عن عدم قبولها شيئاً غير مارسخ فيها واستحوذ عليها مما يخالفه، كقبول الجاهل المقلد الدليل العلمي على بطلان اعتقاده التقليدي ورجوع المعاند عن عناده وكبره النفسي (وقد تقدم تفصيله في تفسير ماسبق فيه من الآيات في سور النساء والاعراف والتوبة ، ومثله تفسير (ختم الله على قلوبهم في أوائل سورة البقرة) وأما الاعتداء الذي صار وصفا ثابتا لهؤلاء (المعتدين) فمعناه تجاوز حدود الحق والعدل اتباعا لهوى النفس وشهواتها ، فالطبع المذكور أثر طبعي للحالة النفسية التي عبر عنها بوصف الاعتداء ، وليس عقابا أنفا خلقه الله لمنعهم من الايمان، إذ لو كان كذلك لكانوا معذورين بكفرهم ، ولما كان فيه عبرة لغيرهم ، بل لكان حجة لهم، وقد فهمت قريش وسائر العرب مالم يفهمه متكلموا الجبرية من هذه الآية وأمثالها ، وهو أنها وصف للعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، وسنته تعالى في دوام كل منهما بدوام الآخر،لابذاته وكونه خلقيا لامفر منه، بل المفر أمر اختياري ممكن ،وهو ترك المعاند لعناده والمقلد لتقليده،إيثارا للحق الذي يقوم عليه الدليل،فهموا هذا فاهتدى به الاكثرون بالتدريج ،وهلك الذين استحبوا العمى على الهدى في غزوة بدر وغيرها

فاتحة الطبعة الثانية

من كتاب الوحي المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا (١٦٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

ابنُ مَريمَ رسولُ اللهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه ، فآمنُوا باللهِ ورُسُلِه ولا تقولوا ثلاثة ، انتهُوا خيرًا لكمْ ، إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَه أنْ يكونَ له ولدٌ له ما في السَّموات وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلًا (١٧١) لنْ يستنكفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبدًا للهِ ولا الملائكةُ المقرَّبونَ ، ومن يستنكفْ عنْ عبادته ويستكبرْ فسيحشرُهمْ إليه جميعاً (١٧٢) فأمّا الذين آمنوا وعملُوا الصالحات فيوفّيهم أجورَهم ويزيدُهم منْ فضله ؛ وأمّا الذين استنكفُوا واستكبرُوا فيعذّبهم عذاباً أليماً ، ولا يجدونَ لهُم منْ دونِ اللهِ وليّاً ولا نصيراً (١٧٣) يا أيّها النّاسُ قد جاءكم بُرهان منْ ربِّكُم وأنزلنا إليكم نوراً مُبيناً (١٧٤) فأمّا الذين آمنُوا باللهِ واعتصمُوا به فسيدخلهُم في رحمةٍ منهُ وفضلٍ ويهديهم إليه صراطاً مُستقيماً (١٧٥)

ذكر (الوحي المحمدي) في آيات متفرقة من السور المكية التي كانت تتلى على منكري وحي النبوة من العرب الذين كانوا أقوى البشر استعدادا لهداية هذا الوحي إذا عقلوه وآمنوا به ، لانه لم يكن عندهم من التقاليد الدينية المسيطرة على القلوب والارادات ، ولا من أمشاج الفلسفة البشرية الشاغلة للعقول والافكار ، ولا من الاستبداد السياسي والاستعباد الروحاني السالبين لاستقلال الافراد والجماعات ، ما يصرفهم عن فقهه وتدبره والاهتداء به ، أو يأفكهم عن الدعوة اليه وحمايته ، والجهاد بالاموال والانفس في سبيل إقامته

دعوة الوحي المحمدي في هذه الآيات

ثم ذكر في هذه الآيات من هذه السورة المدنية (النساء) بما لم يذكر بمثلها في تفصيله ، وعموم الخطاب وخصوصه، فخاطب في أولها محمداً رسول الله وخاتم النبيين ﷺ ثم وجه الخطاب في بعضها إلى الناس كافة، وفي بعض آخر الى أهل الكتاب خاصة ، فبدأ خطاب الناس كافة بأنه قد جاءهم (الرسول) الكامل الذي بشر به الانبياء والرسل، والنبي الأعظم الذي كانت تنتظره الاقوام والامم ، ولذلك ذكر معرّفا بأداة التعريف (١) وأنه جاءهم بالحق من ربهم، وهو الحق المحض الذي جهله المشركون، واختلف فيه الكتابيون، فضلوا في هداية أنبيائهم ورسلهم ، وكفر بعضهم ببعض، ولعن بعضهم بعضا ، وكتب الفريقين واحدة ، وقد بين لهم ذلك في الآيات التي قبل هذه الآيات مباشرة، وأهمها الخلاف في رسولهم النبي الروحاني المصلح، المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم أعاد ذكره ونهاهم عن الغلو فيه في هذه الآيات . وهي مشتملة على المسائل العشر الآتية :

(الأولى) ان الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى نوح أول رسول أرسله إلى الامم وقص عليه خبره في السور المكية وإلى النبيين من بعده، فوحيه اليه كوحيه اليهم ، أي مثله في جنسه وموضوعه والغرض منه ، فهو ليس بدعا من الرسل ولا

---

(١) كان اليهود ينتظرون ثلاثة من الانبياء المصلحين : المسيح وايلياء والنبي المطلق الذي بشر به موسى ومن بعده . ومن ادلة ذلك ما جاء في الفصل الأول من انجيل يوحنا وملخصه أنه لما ظهر يوحنا المعمدان (هو يحيى بن زكريا عليهما السلام) وصار يعمد الناس في نهر الاردن ارسلوا اليه وفدا ليعرفوا اي الثلاثة هو فسألوه: أأنت المسيح ؟ قال لا، قالوا: أأنت ايليا ؟ قال لا، قالوا : أأنت النبي ؟ قال لا. «٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد الناس إذا كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي؟ اه فذكروا النبي معرفا ، ولو قالوا له أأنت نبي بالتنكير؟ لما قال لا .

هذه الشهادة مفتتحة بقوله (لكن الله يشهد) وهو استدراك على إنكار معلوم من قرينة حال الكفار به ﷺ من المشركين وأهل الكتاب . ومما حكاه من قبل عن المشركين من الانكار والمطالبة بالآية او الآيات، كما تراه في سورة الأنعام ويونس وغيرهما، وما حكاه قريبا في هذه السورة (النساء) عن اليهود بقوله (٤: ١٠٣ يَسألكَ أهلُ الكِتابِ أنْ تُنزِّلَ عَليْهِمْ كِتابا منَ السَّماء، فَقَدْ سَألوا مُوسَى أكبرَ منْ ذلكَ فَقالوا أرِنا اللهَ جَهرَةً) الخ فهو تعالى يقول له إن أولئك المشركين ينكرون وحي الله اليك والى غيرك ، وان هؤلاء الجاحدين يكتمون الشهادة بنبوتك وبشارة أنبيائهم بها (لكنِ اللهُ يَشهَدُ بِمَا أنزَلَ اليك) الخ

فأما شهادته تعالى فقد بينها بيانا مستأنفا لوقوعها جوابا لسؤال مقدر، وهو قوله (أنزلهُ بِعلمه) أي أنزل هذا القرآن الذي أوحاه اليك متلبسا بعلمه الخاص الذي لا تعلمه أنت ولا قومك، من تشريع وحكم وآداب وعبر وأخبار غيب سابقة وحاضرة وآتية، بأسلوب معجز للبشر. وهو ما يفصله هذا الكتاب بالشواهد من السور العديدة — وأما شهادة الملائكة له فما أخبر به تعالى من نزول الروح الأمين جبريل عليه السلام عليه بهذا القرآن ، وما أيده به يوم الفرقان يوم التقى الجمعان في غزوة بدر ، وكذا غزوتا الأحزاب وحنين ، وفي أحوال أخرى

هذه الشهادة من الله ، بهذا القرآن الذي لا يمكن أن يكون إلا من الله ، حق لا ريب فيه ، وهي أظهر من شهادة يوحنا للمسيح (عليهما السلام) إذ روى يوحنا أنه قال (٥ : ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق ٣٣ أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق) وكذلك هي أظهر وأقوى من شهادة المسيح لنفسه فيما رواه يوحنا أيضا إذ دعا اليهود الى اتباع النور الذي جاء به (٨ : ١٣ فقال له

الفريسيون : انت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقاً (١٤ فأجاب يسوع وقال لهم : وإن كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق) وقد صدق عليه السلام في ان شهادته لنفسه حق ، ولكن لاتقوم بها الحجة على الخصم ، وأما شهادة الله تعالى لنبيه في القرآن فهي حجة على كل أحد يعجز عن الاتيان بمثله ، فهي إذن حجة على كل أحد.

(الخامسة) الاخبار في الآيات ١٦٧ ـ ١٦٩ بحال الكفار الذين يتعدى ضررهم الى غيرهم من الناس ، بصدهم الناس عن سبيل الله وهي الاسلام، وبظلمهم لانفسهم وللناس، وكون جزائهم بحسب سنة الله في أنفس البشر ونظام الاجتماع ، أن يظلوا سائرين على طريق الباطل والشر الموصلة إلى عذاب جهنم ، إذ لا يغفر الله تعالى لهم إلا بتزكية أنفسهم بالايمان والعمل الصالح الذي يهدي اليه الوحي ، وقد صاروا بضلالهم في أشد البعد عنه خلافا لما يقوله الكفار من نيل المغفرة بجاه الشفعاء الشخصي مع بقاء الأنفس على فسادها ، وظلمات ظلمها وجهلها، وهوماسرى إلى أهل الكتاب من المشركين ، إلا أن بعض النصارى خصوه بالمسيح ، وبعضهم جعلوه عاما لجميع القديسين

(السادسة) مخاطبة جميع الناس (في الآية ١٧٠) بأن هذا الرسول محمدا ﷺ قدجاءهم بالحق من ربهم حقامحضا غير مشوب بالآراء والاهواء البشرية ، ولا بالتقاليد الكهنوتية (١) التي زادها رؤساء الاديان على ما جاءهم به الرسل الاولون فلم يعد أحد يعرف ما هو من الله تعالى وما هو منهم ، فان يؤمنوا بما جاءهم به هذا الرسول يكن خيراً لهم ، وإن يكفروا فالله غني عنهم

---

(١) الكهنوتية نسبة الى الكهنوت ، وهى كلمة دخيلة من اصطلاح النصارى واليهود والوثنيين معناها وظيفة الكاهن وهو الذى يتولى بعض التقاليد الدينية المختلفة عند كل منهم

(السابعة) نداؤه أهل الكتاب في الآية ١٧١ بالنهي عن الغلو في الدين، وعن قول غير الحق على الله تعالى ، وبيانه لهم حقيقة المسيح الذي غلا اليهود منهم في الكفر به وتكذيبه ، والطعن في صيانة أمه الطاهرة ـ وغلا النصارى فيه فجعلوه ربا وإلها ، وأنه قد جاءهم بالحق فيه ، وهو انه بشر روحاني خلق بكلمة الله التكوينية وهي(إنما قَوْلُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أن يَقُولَ لهُ كُنْ فَيكون) وبنفخ روح القدس في أمه الطاهرة ، وبتأييد هذا الروح له في سائر أحوال نبوته، وان روحه عليه السلام قدسية من الله تعالى لاحظ للشيطان فيها ، والنصارى يقررون ان الارواح قسمان: طاهرة قدسية، ونجسة شيطانية ، والتمييز بينهما مزية تحدث بها زعيمهم بولص في رسالته الاولى الى أهل كورنثيوس

(الثامنة) أمره تعالى أهل الكتاب بعد ما ذكر من حقيقة أمر المسيح أن يؤمنوا بما جاء به خاتم النبيين من الايمان الصحيح بالله وتوحيده والايمان برسله ، ونهيهم عن التثليث الوثني الهندي ، وعن اتخاذ الولد لله عز وجل ، وعلله بأنه المالك لكل ما في السموات والارض ، أي كل العالم ، ولو كان له ولد لكان ولده مثله لاملكه ، ولكان محتاجا كاحتياج الانسان الى ولده ، سبحانه هو الغني عن كل ماسواه ، كما هو مبين في الآيات الكثيرة الواردة في هذا المعنى [1]

(التاسعة) إنباؤهم في الآية ١٧٢ بأن المسيح نفسه لن يستنكف أي لن يأبى أنفة واستكبارا عن أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون ـ وهم أفضل الملائكة وأعلام منزلة عنده تعالى ـ أن يكونوا عبيداً له ، فانه ما ثم في الوجود إلا رب واحد كل من عداه عبيد له ، فالمؤمنون الذين يؤمنون بربوبيته ويعملون الصالحات تعبداً له يوفيهم أجورهم، ويزيدهم عليها ثوابا ونعيما، فضلا منه وإحسانا، والذين يستنكفون ويستكبرون عنها يعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دونه أي غيره وليا يتولى أمورهم

(١) راجع سورة يونس «١٠: ٦٨» وآخر سورة مريم وغيرها

ويغفر لهم ،ولا نصيراً ينصرهم بشفاعة ولافدية ولا غيرها ، فلا يغرنهم ما يدعيه الرؤساء الذين استعبدوهم من أن خلاصهم وسعادتهم ، يكونان من غير أنفسهم

(العاشرة) نداؤه للناس كافة في الآيتين ١٧٤ و ١٧٥ مبشراً لهم بأنه قد جاءهم البرهان العلمي العقلي من ربهم ، وأنزل عليهم النور الساطع ، وهو القرآن المبين لجميع الحقائق ، فلا ينبغي لأحد منهم أن يصغى بعدها الى تقليد الرؤساء والكهنة الذين استعبدوهم لرياستهم وأهوائهم، وأنبت لهم ان الايمان به ، والاعتصام بحبله المتين، والدخول في نوره المبين ، هو الذي يخرجهم من شقاء الدنيا ويدخلهم في رحمة خاصة ، وفضل عظيم ، يمتازون بهما على غيرهم من البشر ، ويهديهم بارشاده وفيض نوره صراطا مستقيما من العلم والعمل ، والحق والعدل والفضل ، يكونون به سعداء الدنيا والآخرة

***

هذا مضمون الوحي الالهي المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين المبين في هذه الآيات، ظهر نوره فاهتدت به العرب، وحملته إلى شعوب العجم، بالتبليغ له بالعلم والعمل ، فاهتدى به السواد الاعظم ممن بلغتهم دعوته من المليين الكتابيين، والمجوس والوثنيين، والهمج المعطلين ، لأنه دين البشر أجمعين. وقاومته الدول الدينية من نصرانية ومجوسية ووثنية، فنصره الله عليهم كلهم كما وعدهم، حتى أظهره على الدين كله ، ولا يزال ينصره وينشره بعد ترك دوله لدعوته ، وإعراضهم عن هدايته ، وما نزل بهم من عقوبته لهم كما أوعدهم ، ولو ثبتوا على إقامته لعم نوره العالم ، ولاستراح البشر من هذه العداوات الجنسية والوطنية والسياسية ، ولو لقي غيره من الاديان، مثل ما لقي من البغي والعدوان، لأصبح في خبر كان .

ثم ان حاجة الامم قد اشتدت في عصرنا هذا الى هدايته، حتى أشدها إمعانا في عداوته، ولجاجا في نكايته، وجهلا بحقيقته، فأخرجت هذا الكتاب من هداية القرآن ، لتجديد دعوته بما يناسب ضرورة هذا الزمان، ولو انني حين شرعت

(مزية هذه الطبعة على الاولى)

كان أول ما زدته لهذه الطبعة ما تراه بعد هذه الفاتحة ، فصل خاص في تعريف الوحي والنبوة والرسالة ، وعصمة الانبياء عند المسلمين ووجه الحاجة إلى الرسالة وهداية الوحي، جعلته في أوله، وهو مكانه اللائق به، وأردت أن أكتب فصولا أخرى في بسط المسائل المطوية أو المجملة المختصرة في أثنائه ، كأنباء الغيب في القرآن ، وبعض ما فيه من سنن الاجتماع والعمران ، ومن المسائل العلمية التي كانت مجهولة للبشر أو للعرب في ذلك الزمان، ومن مسائل صحة الأبدان، وأن أجعل كل فصل منها في موضعه اللائق به من الكتاب ، وأعززها بفصل آخر في شهادات علماء الافرنج الاحرار للاسلام ، ولنبي عليه الصلاة والسلام

ثم بدا لي أن الزيادات الكثيرة في أثنائه تفسد على الذين يترجمونه عملهم، وقد علمت قبل البدء بهذه الطبعة أن الترجمة الاوردية قد تمت أو كادت، فعزمت على أن أجعل هذه الزيادات علاوات ملحقة بالكتاب . وأما الفصل الاول فقد كنت أرسلته الى بعض المشتغلين بالترجمة ، ولكنني نقحته بعد ذلك وزدت فيه ، وإعادة ترجمته وحده أمر سهل، وزيادة هذه الفاتحة قبله أسهل .

وبدا لي أيضا في اكثر ما أزيده من إيضاح وتفصيل لبعض المسائل، أو تفسير لبعض الغريب والمبهم أن أجعلها كالاحالات التي في أثنائه أو التي تتجدد كلها حواشي له لا في صلبه ، ليسهل إلحاقها بترجمتها قبل طبعها ، وأن أرسل نسخة من هذه الفاتحة والفصل الاول الذي يليها الى كل من أذنت له بترجمته قبل اتمام طبع الاصل العربي كله ، لكي يتسنى لمن أتموا الترجمة أن يطبعوها بعيد طبع أصلها

وما عسى أن يعرض لي في أثناء هذه الطبعة مما لم أذكره في هذه الفاتحة فسأبينه في مقدمة التصدير إن شاء الله تعالى ؟

الفصل الأول

في تحقيق معنى الوحي والنبوة والرسالة وحاجة البشر إليها وأصولها وعدم إغناء العقل والعــلم الكسبي عنها (*)

تعريف الوحي لغة وشرعا

قال في الأساس : أوحى إليه وأومى إليه بمعنى ، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحي الله إلى أنبيائه(١٦: ٦٨ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)

وقال الراغب أصل الوحي الاشارة السريعة ، ولتضمن السرعة قيل «أمر وحيّ » وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة . وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا (١٩ : ١١ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) الخ أي أشار اليهم ولم يتكلم .

والوحيّ بتشديد الياء السريع، ومن وحي الايماء بالجوارح قول الشاعر :

نظرت إليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها فأثر ذاك الوحي في وجناتها

فالقول الجامع في معنى الوحي أنه الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره . ومنه الالهام الغريزي كالوحي إلى النحل ، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى ، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان قال تعالى (٦ : ١٢١ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) وقال(٦: ١١٢ وَكَذَٰلِكَ

(*) هذا الفصل من زيادات الطبعة الثانية في أولها

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة . فهذا معنى المصدر ، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول ، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابا أي تشريعا يكتب ومنهم من لم يعطه .

والله تعالى يوحي إلى ملائكته ما يأمرهم بفعله كقوله (٨ : ١٢ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) ويوحي الى ملك الوحي ما يوحيه الملك إلى الرسول كقوله (٥٣ : ١٠ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) أي أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام ما أوحى جبريل إلى محمد ﷺ

وقال شيخنا الأستاذ الامام في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة « وقد عرفوه شرعا أنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه . أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى . وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور »

هـذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله عز وجل (٤٢ : ٥١ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)

فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب ، وقد يعبر عنه بالنفث في الروع — وهو بالضم القلب والخلد والخاطر — والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام

الله من حيث لا يراه كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، وأما الثالث فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه

وتعبيره يشمل (قبل التفرقة بينه وبين الالهام) ما يسميه بعضهم بالوحي النفسي وهو الالهام الفائض من استعداد النفس العالية ، وقد أثبته بعض علماء الافرنج لنبينا ﷺ كغيره ، فقالوا إن محمداً يستحيل أن يكون كاذبا فيما دعا إليه من الدين القويم والشرع العادل والأدب السامي ، وصوره من لا يؤمنون بعالم الغيب منهم أو باتصال عالم الشهادة به ، بأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت له إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية ، على مخيلته السامية ، وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلا له ، وعلى سمعه فوعى ما حدث به .

فصار الخلاف بيننا وبين هؤلاء في كون الوحي الشرعي من خارج نفس النبي نازلا عليها من السماء كما نعتقد ، لا من داخلها فائضا منها كما يظنون ، وفي وجود ملك روحاني مستقل نزل من عند الله عليه ﷺ كما قال عز وجل (٢٦ : ١٩٢ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٣ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٤ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٥ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) وفي تخيل الملك بزعمهم ، وسنشرح هذا الزعم ونبسط شبهاته ونبطلها ، ونثبت أن هذا القرآن وحي من الله تعالى نزل من فوق السموات العلى ، لا يمكن أن يكون فائضاً في هذه الأرض من نفس محمد ﷺ وهو موضوع كتابنا هذا

واعلم أيها القارىء أن تقسيم كلام الله تعالى الى نفسي قديم قائم بذاته سبحانه ليس بحرف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة ، وكلام لفظي هو المنزل على الانبياء عليهم السلام ، ومنه الكتب الاربعة ، وخلافهم في كونه مخلوقا أو

غير مخلوق كله فلسفة وآراء نظرية مبتدعة، لم يرد به كتاب ولا سنة، وهو تعرض للبحث التحليلي لذات الله تعالى وصفاته، ومثار للوسواس الشيطاني فيه فاجتنبه، واستعذ بالله منه، وحسبك أن تؤمن بأن الكلام صفة كمال، تتعلق بكل ما يتعلق به العلم، إلا أن تعلق العلم عبارة عن انكشاف المعلومات للعالم، وتعلق الكلام عبارة عن كشف العالم ما شاء من علمه لمن شاء، وأن الله تعالى متصف بكمال العلم والتعليم، وكمال الكلام والتكليم، وان هذا وغيره مما وصف به نفسه في كتابه، لا ينافي كمال تنزيهه تعالى عما لا يليق به من نقائص عباده، ولا يقتضي مماثلته لهم فيما وهبهم من كمال، فان الاشتراك في الاسماء لا يقتضي الاشتراك في المسميات، وأسماء الاجناس المقولة بالتشكيك في الممكنات تختلف من وجوه كثيرة منها النقص والكمال، فكيف بها اذا كانت مشتركة بين الخالق والمخلوقات؟ فذاته تعالى أكمل من ذواتهم، ووجوده أعلى من وجودهم، وصفاته أسمى من صفاتهم، وهو أعلم ورسوله أعلم منهم بصفاته وأفعاله، فعليك أن تؤمن بما صح عنهما من اثبات ونفي، من غير زيادة ولا نقص، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وليس عليك ولا لك ان تحكم رأيك وعقلك في كنه ذاته ولا صفاته، ولا في كيفية مناداته وتكليمه لرسله، ولا في كنه ماهو قائم به، وما يصدر عنه، على هذا كان أصحاب الرسول وعلماء التابعين، وأئمة الحديث والفقه، قبل ظهور بدعة المتكلمين

(النبي : معناه لغة وشرعا والفرق بين الرسول وغيره)

النبي في اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول لانه منبيء عن الله ومنبأ منه، والنبي بالتشديد أكثر استعمالا، ابدلت الهمزة ياء، أو هو من النبوة وهي الرفعة والشرف. ويطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة، وقيل إن معنى أصل مادته في العبرانية القديمة المتكلم بصوت جهوري مطلقا أو في الأمور التشريعية، وهو عندنا من أوحى الله اليه وحيا، فان أمره بتبليغه كان رسولا،

فكل رسول نبي ، وما كل نبي رسول ، فقوله تعالى (٣٣ : ٤٠ ما كانَ محمد أبا أحَدٍ من رجالِكم ولَكنْ رسولَ اللهِ وخاتَمَ النَّبيِّينَ) يدل على انقطاع النبوة والرسالة معا بعد محمد ﷺ ، فكل من ادعى أو يدعي الوحي الشرعي من الله تعالى بعده فهو كذاب مضل ، وقد ادعى النبوة كثيرون فظهر كذبهم

ولم يأت أحد ادعى النبوة بعد محمد ﷺ بشيء من الاصلاح الديني الذي يحتاج إليه البشر، بل رأينا كتبهم وأقوالهم طافحة بمدح أنفسهم والغلو في إطرائها ودعاويها الباطلة التي يراد بها إخضاع العوام لهم واستعبادهم إياهم ، كالذي نعهده في الدجالين من مدعي الولاية ومعرفة الغيب والتصرف الروحاني في نفع الناس وضرهم. ويدحض هذا وأمثاله ما بينه الله في كتابه الحق من وظائف الرسل كافة، وخاتم النبيين خاصة، كما تراه في موضعه من هذا الكتاب، وكذا ما علم بالتواتر من شمائله وأخلاقه ﷺ من التواضع وكراهة الدعوى والاطراء والنهي عنه

ويرى قارىء هذا الكتاب فيه أن ما جاء به ﷺ من كتاب الله وما بينه به من سنته كف شامل لكل ما يحتاج إليه البشر من هداية الدين لا يحتاجون إلى غيره

﴿ حاجة البشر إلى الرسالة ، وأصول أديان الرسل الأساسية ﴾

وجه حاجة البشر إلى هداية الانبياء عليهم السلام في الجملة أن موضوع رسالتهم المقصود بالذات أو بالقصد الأول ثلاثة أمور لا تستقل معارفهم المكتسبة بحواسهم وعقولهم بها ، ولا يذعنون فيها إلا لأمر ربهم وخالقهم

(أحدها الايمان بالغيب) ورأسه توحيد الله وصفاته وآياته الدالة على كماله وتنزهه عن النقص ، وما يجب من عبادته وشكره وذكره الذي هو أعلى ما تتزكى به النفس وتتطهر من أدران مساويها ، وتصل إلى الكمال المستعد له بفطرتها ، ويليه الايمان بملائكته وما يناط بهم من الوحي ، والنظام في الخلق والأمر ، ويجب الوقوف في ذلك عند ما ورد به النص

ومما أخبر به الأنبياء من أمر عالم الغيب (الجن والشياطين) وأن ما يجده الناس

في أنفسهم من خواطر السوء وتقوية دواعي الشر والباطل فهي من وسواس الشياطين.
وحكمة إعلامهم بذلك إرشادهم إلى محاسبة أنفسهم على خواطرها، والتمييز بين حقها وباطلها، وخيرها وشرها، فهو أكبر معين لهم على تربيتها وتزكيتها، وقد وضحناه بالدلائل في تفسيرنا، وضربنا له المثل بعوالم الجنة المادية التي تسمى بالميكروبات، وكون تأثيرها في الأجسام، كتأثير الشياطين في الأرواح. وقد مر على البشر الألوف الكثيرة من السنين وهم يجهلونها على مالها من التأثير العظيم في صحتهم وأمراضهم، وطعامهم وشرابهم، حتى كشفوها في هذا العصر، ولو حاسب الناس أنفسهم على خواطرهم السوءى اتقاء لوسوسة الشياطين كما يتقون ميكروبات الامراض لحفظ أبدانهم، لكان تأثير هذه التقوى في حفظ الانفس من الشر والفساد، أعظم من تأثير تلك الوقاية في حفظ الاجساد من الامراض.

وقد كشف بعض الماديين في القرن الثامن عشر أن للبشر أرواحا مستقلة كما أخبرهم الانبياء، ووجدوا وسيلة لادراك بعض الجنة غير المادية، وهو ما يعتقدون أنه من أرواح الموتى. والراجح عندنا أن أكثرها من أرواح شياطينهم، ولا يتسع هذا الفصل لبيان الحق في هذه المسألة التي لا تزال موضع الخلاف بين الناس، وإنما المراد هنا تعريف موضوع الرسالة بالاجمال

(ثانيها) ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الايمان والاعمال، وهو أكبر البواعث — بعد الايمان بالله ومعرفته — على اتباع ما شرعه من اتباع الحق، واقامة العدل، وأعمال البر والخير، والصدود عن أضدادها

(ثالثها) وضع حدود وأصول للاعمال التشريعية المشار اليها لامجال للآراء والاهواء فيها، لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، متبعة في السر والعلانية

وجملة القول ان تهذيب البشر بالدين مبني على الايمان بالغيب، والوقوف فيه عند خبر الانبياء عليهم السلام، ولا يمكن تهذيبهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها، وهو ما نكرر بيانه في هذا الكتاب

عصمة الانبياء

اذا كان ارسال الانبياء الى البشر لاجل هدايتهم الى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة الا اذا كان هؤلاء الانبياء أهلا لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم ، ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الانبياء من المعاصي والرذائل ، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناءة

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة ، وكتبهم المقدسة ترمي بعض كبار الانبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الاسوة ، بل المجرئة على الشرور والمفاسد، والنصارى منهم يجعلون معاصي الانبياء دليلا على عقيدتهم وهي ان المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله، ولانه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازبة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له ، وانه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره لان الخطيء لا يخلص الخطئين وهو منهم ، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الانبياء وكتبهم وللعقل، ومطابقة للاديان الوثنية الهندية وغيرها

بيد أن كتب العهدين القديم والجديد المقدسة عندهم المحرفة في اعتقادنا لا تشهد لهم برمي جميع أنبيائها بالذنوب فضلا عن المعاصي التي هي أشد من الذنوب، فان يوحنا المعمدان (هو يحيى بن زكريا عليهما السلام) لم يوصم بخطيئة قط، بل شهدت له أناجيلهم بما يدل على انه كان أعظم من المسيح في عصمته، ففي انجيل لوقا (١: ٦٥ انه يكون عظيما أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس) وفيه « ٦٦ كانت يد الرب معه » وقال المسيح فيه « متى ١١: ١١ الحق أقول لكم انه

لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » ثم قال فيه « ١٨ جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ١٩ وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون :هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » بل شهدت الاناجيل ان المسيح عليه السلام أهان أمه واخوته ولم يسمح لهم بلقائه ، وقد استأذنوا عليه ليكلموه ، وعلل ذلك بانهم مخالفون لمشيئة أبيه كما تراه في آخر الفصل الثاني عشر من انجيل متى وآخر الثالث من مرقس بالمعنى . وعبارة لوقا (٨ : ٢٠ فأخبروه قائلين : أمك واخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك ٢١ فأجاب وقال لهم أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها) نعم إن اخوته لم يكونوا يؤمنون به كما هو مصرح به في موضع آخر: ولكن هل كانت أمه كذلك ؟ وهل يجازيها هذا الجزاء . والله تعالى يوصي بالاحسان بالوالدين حتى المشركين ، ويفضل أم السيد المسيح على نساء العالمين. واهانة الأم ذنب في جميع الشرائع و الآداب ، كما ان المبالغة في شرب الخمر ذنب حتى في الشرائع التي لم تحرمها مطلقا ، وجاء في هذه الاناجيل ان الشيطان استولى عليه أربعين يوما يجربه ويدعوه الى عبادته ، كما تراه في أول الفصل الرابع من انجيل متى . وكذا في غيره من الأناجيل . ونحن نبرئه من كل ذلك

وشهدت الاناجيل ايضا بأن يوحنا كان يعمد الناس للتوبة ومغفرة الخطايا وانه عمد المسيح نفسه ، وبأن أباه زكريا وأمه اليصابات: وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم لوقا(١: ٦)وهذه شهادة بالعصمة التامة

وهنالك أنبياء آخرون شهدت لهم نبوات العهد القديم بالبر ولم ينسب الى أحد منهم أدنى خطيئة، وآدم عند ما ارتكب الخطيئة لم يكن نبيا مرسلا الى أحد ولا كان معه قوم يسيئون الاقتداء به ، وكان قد نسي النهي عن الاكل من الشجرة، وانما كانت مثلا لاستعداد جنس البشر للمعصية كالطاعة ، نسيانا أو عمداً، ولكون المعصية تعالج

بالتوبة فيغفرها الله تعالى ، وقد كان ابناه قابيل وهابيل مثلا لكل من الاستعدادين ، وشهد الكتاب عندهم لهابيل بأنه كان باراً لم يرتكب خطيئة ، وهو لم يكن نبيا

جاء القرآن وهو المهيمن على جميع الكتب الالهية بما لخصناه من الحق في مسألة آدم ، وشهد لمن قص علينا خبرهم من أنبياء الله ورسله انهم كانوا من الصالحين الذين يقتدى بهم في البر والتقوى ، كقوله في سورتهم (٢١:٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وقال فيهم بعد ذكر أشهرهم (٦:٩٠ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

وأما قوله لخاتمهم ومكمل هدايتهم (٤٨:١ انا فتحنا لك فتحا مبينا ٢ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الخ وقوله (٤٧:١٩ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فالذنب فيه جاء بأصل معناه اللغوي المنقول من ذنب الدابة وهو كل عمل له عاقبة منافية للمصلحة أو لما هو أولى وأنفع ، ويدخل فيه الاجتهاد في الرأي المباح شرعا كاذن النبي ﷺ لمن استأذنه من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وعاتبه الله عليه بقوله (٩:٤٣ عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين)* وانما العصمة للانبياء من معصية الله بمخالفة وحيه اليهم ، اذ لو عصوه لكان أتباعهم مأمورين من الله بالمعصية لانه أمرهم باتباعهم ، وقال في نبينا ﷺ (٣٣:٢١ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكر اللهَ كثيراً)

العقل والعلم البشرى لا يغنيان عن هداية الرسل

(فان قيل) ان الايمان بالغيب ووجود الرب غريزي في الفطرة البشرية كما حققتم ، أو إلهام من إلهاماتها يلقى في روع أفرادها عند نمو إدراكهم ، وان بعض

* تراجع المسألة في تفسير هذه الآية من جزء التفسير العاشر ص (٤٦٤)

الحكماء المفكرين قد ارتقوا في معارفهم العقلية الى حيث أقاموا البراهين على وجود واجب الوجود وعلمه وحكمته ، ووجوب تعظيمه وشكره وعبادته ، وقد قرر بعضهم بقاء النفس بعد الموت وخلودها في نعيم مقيم أو عذاب أليم ، ووضعوا للناس أصول الفضائل والتشريع والآداب التي تصلح بها الانسانية وروابط الاجتماع

(قلت) نعم لكل ذلك أصل يثبته التاريخ الماضي، ويشهده العصر الحاضر، ولكن بين هداية الانبياء وحكمة الحكماء وعلومهم فروقا في مصدر كل منهما ، وفي الثقة بصحته ، وفي الاذعان لحقيته، وفي تأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين

فحكمة الحكماء وعلومهم آراء بشرية ناقصة وظنون، لا تبلغ من عالم الغيب الا أنه موجود مجهول ، وهي عرضة للتخطئة والخلاف ، ولا يفهمها الا فئة مخصوصة من الناس ، وما كل من يفهمها يقبلها ، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته ، اذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها ، فلا يكون لها تأثير الايمان واسلام الاذعان والتعبد ، لان النوع البشري يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته ، وان فاقه في علمه وحكمته، وانما يدين لمن يعتقد أن له سلطانا غيبياً عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضر بذاته ، دون الاسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه

واضرب لهذا مثلا انه كان للفيلسوف الرئيس ابن سينا خادم متعلم معجب بعلومه وفلسفته ، وكان يعجب منه كيف يدين بملة محمد ﷺ ويتبعه وهو في رأيه أعلم منه وأرقى ، وكان يكاشفه بذلك فيعرض عنه أو يوبخه ، فاتفق أن كانا في مدينة أصفهان في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج، فأيقظ الرئيس خادمه في وقت السحر وطلب منه ماء ليتوضأ به ، فاعتذر بشدة البرد وبقاء الليل ، ثم أيقظه الرئيس في وقت أذان الصبح وطلب منه الماء فاعتذر بشدة البرد . حتى اذا قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله — قال الرئيس لخادمه اسمع ،ماذا

يقول المؤذن ؟ قال انه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله . قال الرئيس: الآن قد آن لي أن أبين لك ضلالك القديم ، انك خادمي لا عمل لك غير خدمتي ، وإنك أشد الناس اعجابا بي واجلالا وتعظيما لي ، حتى انك تفضلني على رسول الله ﷺ وتنكر علي أن أومن به وأتبعه ، وانك على هذا كله تخالف أمري في أهون خدمة أطلبها منك في داخل الدار معتذرا بشدة البرد — وان هذا المؤذن الفارسي يخرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المنارة وهي أشد مكان في البلد برداً ، حتى اذا لاح له الفجر أشاد في أذانه بذكر محمد العربي بعد مرور أربعة قرون ونيف على بعثته إيماناً وإذعاناً ، وتعبداً واحتسابا . فتأمل هذا وتدبره في نفسك يظهر لك الفرق بين سلطان النبوة على الناس وسلطان العلم والفلسفة

فمن أعظم مزايا هداية الوحي الدينية على العامية الكسبية هو أن جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي ، فبذلك تكون عامة ثابتة لا مجال للخلاف والتفرق فيها ما دام الفهم لها صحيحا ، والايمان بها راسخا ، ولذلك نرى الشعوب التي ساء فهمها للدين ، وتزلزل ايمانها به أو زال ، لا ينفعها من دونه علوم العلماء ، ولا حكمة الحكماء ، وقد ارتقت العلوم والحكمة في هذا العصر ، وعم انتشارها بما لم يعرف مثله في عصر آخر ، وهم لا يذعنون في أنفسهم لارادة ملك أو أمير ، ولا لرأي عالم نحرير ، ولا فيلسوف شهير ، ولا مشترع خبير ، بل صاروا الى فوضى في الاخلاق والآداب والاجتماع ، واستباحة الاموال والاعراض وكذا الدماء ، لم يعهد لها في البشر نظير ، صارت بها الامم والدول عرضة لفتنة في الارض وفساد كبير

أكثر البشر يؤمنون بوجود الله وعلمه وحكمته ، والمثقفون بالتعليم العصري يؤمنون بوحدانيته ، ولم يبق للشرك به تعالى بقية الا في جهلة المتبعين لتقاليد الاديان المنسوبة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما هي من اديانهم في شيء ، بل هي هادمة لأساسها الاعظم ، وهو التوحيد المطلق ، فكان فشو الشرك بعبادة الاولياء والقديسين وما ترتب عليه واقترن به من الخرافات وفساد الاخلاق ، من

أكبر الشبهات على صحة هذه الاديان والمنفرات عن اتباعها ، وصار أكثر البشر إما مؤمنين بالانبياء دائنين بالخرافات ، وإما كافرين بهم منكرين أن الدين وحي من الله تعالى ، وتعين ارجاع الفريقين الى هداية الدين الصحيح وما هو الا دين الاسلام ،

إن الدين الذي ينتمي اليه أكثر شعوب الحضارة في هذا العصر هو النصرانية ، وانما سبب بقائه فيهم ان دولهم قد جعلته من نظام حياتهم الاجتماعية ، فهو لم يبق له سلطان روحي الا في قلوب العوام الخرافيين ، وقد جاءتنا الانباء قبل طبع هذا الفصل بأن الشعب الالماني وهو أرقى شعوب الارض علما وفنا وحضارة قد ثار على هذا الدين ثورة جديدة يريد بها هدم أساسه من كتب العهد القديم ، وتنقيح تعاليم العهد الجديد ، وجعل ما يبقون منه وطنيا ألمانيا خاصا بالجنس الآري الهندي الفارسي الاصل ، والتبرؤ من كل ما هو سامي منه ، وما أنبياؤهم ورسلهم ومسيحهم ومعبودهم الا من الساميين ، بل يريدون تقديس شهداء الحرب وعظماء أسلافهم الألمانيين ، وان هذه الاوثنية كوثنية اليابانيين ، تذكي سعير العداوة بينهم وبين سائر الاوربيين

فلا سبيل الى انقاذ البشر في هذا العصر إلا اثبات الوحي المحمدي الموحد لانسانيتهم المزكي لانفسهم ، المكمل لفطرتهم ، الذي فيه السعادة الدنيوية والاخروية لهم في جملتهم ، وقد بينا في هذا الكتاب ان محمدا رسول الله وخاتم النبيين ، هو النبي المرسل الى كافة الناس رحمة للعالمين ، وانه هو الذي أكمل الله به الدين ، وأزال العصبيات الجنسية والوطنية ، لتوحيد الاخوة الانسانية ، فاتباعه هو الترياق المجرب لهذه السموم الروحية الاجتماعية القاتلة ، راجين أن يفتح الله تعالى به أبواب الهدى لكل من يعقله ويتدبره من مستقلي الفكر ، وطالبي معرفة الحق ، واصلاح الخلق المعنيين بقول الله عز وجل (٦ : ١٥ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٦ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اهـ

﴿ نموذج من زوائد حواشي الطبعة الثانية لكتاب الوحي ﴾

ذكرنا في الكلام على عجائب المسيح عليه السلام (معجزاته) من العهد الجديد ان المنكرين يتأولونها حتى عجيبة احياء الموتى الثلاثة وان دونها عجيبة التينة وزدنا في الطبعة الثانية هاتين الحاشيتين :

(١) وقد نقل مثلها عن بعض صوفية المسلمين والهندوس فان كذبوا النقول القديمة فمنها ما رواه من شاهده من أهل عصرنا كما ترى في الحاشية التالية لهذه وهي

«٢» خلاصة عجيبة التينة انه جاع وهو خارج من بيت عنيا الى أورشليم مع تلاميذه فرأى شجرة تين مورقة ، فجاءها لعله يجد فيها شيئاً يأكله فلم يجد فيها شيئاً « لانه لم يكن وقت التين » فلعنها قائلا لها «لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الابد » ولما رجعوا من أورشليم رأوا التينة قد يبست فقال له بطرس: ياسيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست الخ « مرقس ١١: ١١ - ١٤ » فأجابهم بما خلاصته ان هذا آية الايمان وان كل مؤمن يقول لاي شيء « كن » وهو يؤمن انه يكون فانه يكون ولو كان أمرا للجبل أن يزول من مكانه

وفي هذه العجيبة نظر من ثلاث جهات (الاولى) ان منكر الآيات يقول انه يجوز أن تكون التينة يبست بسبب مادي في أثناء وجود المسيح وتلاميذه في أورشليم

(الثانية) ان الروحيين من فلاسفة الهندوس وغيرهم يقولون ان كل من كان روحانيا قوي الارادة يكون له مثل هذا التأثير فهو من خواص النفس ، وهذا بمعنى قول المسيح لهم في تأثير الايمان ، وهو ينافي أن يكون بتأييد من الله خارق للعادات الكسبيه الدالة على أن من جرت على يده على الحق

(الثالثة) ان الناس ينقلون مثل هذا في كل زمان ، ومن ذلك ما نقلته جريدة المقطم في عددها الذي صدر بتاريخ ٤ من رمضان من عامنا هذا الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٣ مترجما عن كتاب لطبيب اسمه الكسندر كان في بلدية لندن له منصب معروف في مستشفى الامراض النفسية أنه الف كتابا في الشهر الماضي اسمه (العالم غير المنظور) تكلم فيه عن التنويم المغناطيسي والسحر الاسود وغيرهما من (علوم الغيب) ذكر فيه رحلته إلى الهند والتبت وما رأى فيها من المناظر المدهشة (ومنها شجرة تين تذبل بأمر رجل وجثة فقدت الحياة مدة سبع سنوات تعاد اليها الحياة)

ثم نقل عن هذا الكتاب في تفصيل عجيبتي اماتة التينة واحياء الانسان الميت نبأ قاض انكليزي اسمه مكردي أنذره بأنه سيقتل قبل مرور سبع سنين برصاص بندقة تطلق عليه بأمره وكان الامر كذلك . وأن المؤلف سمع هذا الخبر من « اللاما » أي كاهن التبت الاكبر ثم قال المقطم ما نصه بعد العنوان:

امانة الصوفي الهندى للتينة كالمسيح

«ويتكلم الطبيب في كتابه عن صديقه (البروفسور ...) ويقول عنه انه يزور سريره كل ليلة وعمره مائة سنة ولكن منظره منظر رجل ابن أربعين . وقد صحبه مرة الى شجرة تين فخاطبها صاحبها من بعد قائلا : لقد أحسنت وقاومت عواصف الحياة وسليت نفسي وشفيتها . وقد آن وقت رحيلك عن عالم الغرور والعدم هذا فموتي الآن ولا تعودى الى الحياة مرة أخرى . قال الطبيب : فذبلت التينة حالا وسمح لي بفحصها أنا وغيري لنتأكد موتها

وقص حكاية الرجل الذي أعيدت حياته إليه فقال :

إحياء اللاما كاهن التبت للميت

« كان اللاما الكبير على عرشه فدخل عليه جوق من الرهبان يحملون المشاعل فجلسوا في حلقة واسعة وهم يتمتمون أغنية . فصلى اللاما وفي تلك الدقيقة دخل ثمانية يحملون تابوتا من حجر فأنزلوه ورفعوا غطاءه فرأينا شخصا منظره منظر ميت . فسمح لي بفحصه فلم أشعر بنبضه ولا بخفقان قلبه وكان بارداً كالحجر وعيناه عينا رجل انقضى عليه يوم كامل وهو ميت ووضعت مرآة على فمه وأنفه فلم يظهر عليها أثر تنفسه . ثم لفظ اللاما كلمات فرأينا الميت يفتح عينيه، ثم جلس في تابوته فساعده راهبان على الوقوف والمشي، فدنا من اللاما وانحنى وعاد إلى نعشه وهو لا يزحزح بصره عن (أعظم الحكماء) . ثم لم تمض دقائق قليلة حتى عاد ولا حياة فيه . فلم أدر أكان ميتا حقيقة أم في غيبوبة . فقرأ اللاما أفكاري فقال لي ان الرجل كان ميتا مدة سبع سنوات أخرى . وإن عمره مئات من السنين وقد يحيا إلى الابد إذا صح أن نعد هذا حياة »

(يقول محمد رشيد) وفي هذا الكتاب عجائب أخرى ذكر بعضها في المقطم وأن المجلس البلدي عزله من وظيفته عقابا له عليه . وأنا قد سمعت فى صغري حكاية مشهورة عند أهل بلدنا عن رجل معتقد اسمه الشيخ محمد العصافيري أنه نظر الى شجرة تين وقال مسكينة مسكينة تموت، فلم تلبث أن عراها الذبول حتى يبست وجملة القول أن حكايات العجائب كثيرة في كل زمان وسيأتي تحقيق القول فيها

نصيحة أسلامية خاصة عامة*

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا منشىء منار الاسلام ، ومفسر القرآن الحكيم بالبيان الذي يفهمه الخواص والعوام ، والمعارف التي يحتاج إليها جميع الناس في هذا الزمان ، ويظهر به اعجازه العلمي وتقوم به حجته على العالمين ، باثبات نبوة محمد خاتم النبيين ، وعموم بعثته وبقائها إلى يوم الدين

إلى اخوانه مسلمي أندونسية الكرام . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد سألني ولدكم النجيب الاستاذ محمد فريد معروف أن أحمله إليكم نصيحة يبلغكم إياها بلسانه وقلمه ، وهو عائد إليكم بعد طلبه للعلم في مصر وقد نال شهادتي العالمية والتخصص من الجامع الازهر ، واتخذ لنفسه كناشة يحفظ فيها نصائح كثيرة بخطوط من يعرف من المشهورين بالعلم والرأي ، وطالب النصيحة لا يرد طلبه ، لأن مرشد الخلق الأعظم ، محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، قد قال « الدين النصيحة » والحديث مشهور رواه مسلم في صحيحه وله تتمة ، وان بذل النصائح سهل ، ولعله يحمل اليكم منها جل ما تحتاجون اليه في أمور الدين والدنيا. ولكن النصائح العامة الاجمالية للشعوب قلما تحملهم على العمل ، بل قلما تبين لهم طريقه المعبد ، فالوصية بالتقوى أخصر الوصايا وأجمعها للمعاني في مصالح الافراد والبيوت (العائلات) والامة والدولة والاجتماع البشري في الدين والدنيا والمال والسياسة والحرب كما يعلم ذلك من استعمالها في القرآن الحكيم ، وإننا نسمعها مجملة في جميع خطب الجمعة ونظل على ما نحن عليه كأننا لم نسمعها

إن أخاكم هذا قد تصدى لنصيحة الناس من سن الصبا واستقام عليها من

(*) أي سببها خاص وموضوعها عام لجميع المسلمين ، وكنت عازما على ترك نشرها الى ان ينشرها من حملها الى اندونسية ، ولكن رأيت بعض اخوانه هـ يخشى ان تصادر الحكومة الهولندية كناشته

سن الشباب إلى الشيخوخة ، ويرجو أن يلقى ربه عليها ، وقد ثبت عنده بالتجارب الكثيرة أن النصيحة المؤثرة المفيدة للمستعد لها ، هي ما كانت ارشادا إلى عمل معين مستطاع ، في مصلحة عامة أو خاصة مسلمة لا ريب فيها ولا نزاع ، وانني أذكر لكم من هذا النوع قليلا يهديكم إلى كثير بعد مقدمة وجيزة فأقول :

إنكم تعلمون أن الاسلام الذي منّ الله تعالى علينا به ببعثة خاتم النبيين ﷺ دين هداية روحية عقلية ، ورابطة إنسانية عامة ، وحضارة جامعة بين سيادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وأن سلفنا قد نالوا بها ما كانوا به سادة العالم وأساتذة الامم ، ثم فقدنا جل الميراث الذي تركوه لنا من علم وعمل ، وهدى وثروة وملك ، باعراضنا عن النور الذي استضاءوا به ، والروح الذي أحياهم الله به ، وهو الذي بينه لنا عثل قوله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

وتعلمون الآن أننا قد ظللنا عدة قرون لا نشعر بما أصابنا ، وقد بدأنا نستيقظ فنرى أناسا يدعوننا إلى ترك الاسلام ، دين الله الحق الموافق للعقل والفطرة ، إلى دينهم الباطل ببداهة العقل ، وآخرين يدعوننا باسم ديننا إلى اتباع نبي غير نبينا ، ووحي غير قرآننا ، ونرى العاملين منا في خلاف وشقاق ، لاعاقبة له إلا الخيبة والخذلان (والعياذ بالله)

فأنا أوصيكم الآن بوضع أساس متين ثابت للاصلاح الاسلامي العام ، والتجديد الذي تكونون بالبناء عليه ركنا من أركان الحياة الاسلامية الصحيحة التي يرجى أن تهتدي بها شعوب الحضارة المصرية كلها كما بينت ذلك بالبراهين الساطعة في الكتاب الجديد الذي أصدرته في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف من شهرنا هذا في عامنا هذا باسم :

الوحي المحمدي

(ثبوت النبوة بالقرآن ، ودعوة شعوب الحضارة إلى الاسلام)

دين الاخوة الانسانية والسلام

وإني أهدي جمعياتكم الاسلامية وصحفكم نسخا منه لترى رأيها في المساعدة على تعميم نشره باللغات المختلفة ، أسوة بسائر الجماعات والمؤتمرات الاسلامية

وأما الاساس الذي أقترحه عليكم للاصلاح الاسلامي فاني أذكره هنا بالايجاز مستعداً لبيانه التفصيلي بعد قبوله والشروع فيه وهو

اقتراح صاحب المنار على الجمعيات الاسلامية في أندونسية وغيرها

تأليف جماعة من رؤساء الجمعيات الاسلامية على اختلاف أنواعها والعاملين من أعضائها ومن علماء الدين العارفين بحال الزمان وأهله ومعارفه في الجملة وغيرهم من الزعماء وعقلاء الاغنياء

باسم جماعة الوحدة الاسلامية

عنوانها

(أركان النجاح لكل مشروع عام ، الاخلاص والتقوى والثبات والنظام)

تنظر هذه الجماعة في جميع المصالح الاسلامية العامة في الامة وتقرر ما يجب عليها عمله فيها ، وتسعى لتنفيذه من طرقه المشروعة ، وأول ما يجب عليها البدء به ما يأتي :

(الاول) تكوين رأس مال ثابت لهذه المصالح . لا يقوم عمل ويثبت إلا بالمال ، وأوسع أبواب هذا المال عند المسلمين الصدقات من زكاة محدودة مفروضة ، وصدقات مندوبة ، ويجب وضع نظام دقيق لجمعها في هذا الزمان يبنى على قواعد الشرع وأحكامه في النصاب والحول والمقدار والمستحقين للزكاة ، والتشاور في سهام الغارمين والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وابن السبيل ، ويراجع الواضعون لهذا النظام ما كتبناه في تفسير آية الصدقات من الجزء العاشر من تفسير المنار ، ويجب أن يكون النظام مبينا لما تطمئن به قلوب الناس وتثق أتم الثقة بأن الأموال تحفظ وتصرف في مصارفها الشرعية

(الثاني) النظر في توحيد التربية الاسلامية والتعليم الديني والمدني في البلاد من نواحيه كلها – النظام والعلوم والمناهج والكتب والمعلمين

(الثالث) النظر فيما ينتشر بين المسلمين من دعوتهم إلى الالحاد والاباحة ، أو تبديل دينهم أو الابتداع فيه، وشره ما يعد كفرا وارتدادا عنه باجماع سلف الامة وأئمتها وفقهائها كالايمان بنبي بعد محمد رسول الله وخاتم النبيين ، ووحي بعد الوحي الذي أنزل عليه ، ويليه كل بدعة مخالفة لاجماع المسلمين وما كانوا عليه في الصدر الاول من أمر الدين لا من أمور الدنيا ، فهذه محل اجتهاد يرجع إلى المصلحة والمنفعة وضدهما ، والسعي لتنفيذ ما تقرره في ذلك

(الرابع) النظر في وسائل تعميم لغة القرآن (١) لاحياء هدايته التي لاتغني عنها بل لا تغني غناءها جميع كتب الدين والادب والحكمة و (٢) لأجل التمكن من نشر دعوته والدفاع عنه و (٣) لاعادة الوحدة الاسلامية التي يعتصم بها أربعمائة مليون مسلم الآن ، وهي قوة يمكن بها توحيد الشرق كله من وجوه كثيرة ، وهذه اللغة مفروضة على المسلمين دينا كما بيناه بالادلة في المنار وفي تفسيره ، وقد جمع بعضه في رسالة خاصة . وأول من صرح من أئمة الامصار بوجوبها هو الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته المشهورة ولم يخالفه فيها أحد . وقد ألممنا بالمسألة في كتاب الوحي المحمدي فراجعوا هذا وذاك

(الخامس) أن تتولى هذه الجماعة أمر التواصل والتعاون مع الجماعات الاسلامية الموافقة لها في شيء من أعمالها ، والمؤتمرات الاسلامية التي تعقد آنا بعد آن في الاقطار الاسلامية ولا سيما مؤتمر القدس الشريف

(السادس) ان تعنى باصلاح ذات البين في كل مايقع من الشقاق بين الجماعات الاسلامية او الزعماء في البلاد مع موادة الجميع

(السابع) أن تعنى بمسألة الدعاية والنشر لما تقرره وتسعى اليه ، وان كاتب هذه النصيحة واخوانه دعاة التجديد والاصلاح مستعدون لمساعدة هذه الجماعة في كل ماتطلبه منهم (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والسلام من أخيكم محمد رشيد رضا

انقلاب التركستان الشرقي

(رسالة للمنار بقلم أحد أركان الثورة المجاهد بن صديقنا الاستاذ العالم العامل الشيخ ثابت عبد الباقي أيده الله وأرسل معها كتابا خاصا لنا تأكيدا لـكتاب قبله اقترح علينا فيه وضع قانون أساسي اسلامي لحكومتهم الجديدة وسنفعل ان شاء الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده و نصلي على حبيبه المصطفى، إن الله يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون

الى الاستاذ العالم الجليل والفاضل النبيل رئيس العلماء الشيخ السيد محمد رشيد رضا أمد الله بحياته لنا ولجميع المسلمين آمين

أهدي من جواهر التحيات وزواهر التسليمات ، ثم أخبر إلى عتبتكم العلية ان وطننا المحترم قد كان أسيراً مقيداً بقيود الذل واغلال الهوان منذ ثمان وخمسين سنة في سجن ظلمة الكفار الاشرار، وكانت ظلمة الكافرين متصرفين في أهالي التركستان الشرقي كتصرف المولى في مواليه ، بل كانوا عندهم أذل من كل ذليل، وأهون من كل مهين، كانوا مبذرين بذور صنوف المظالم، وفنون المفاسد على أهالي التركستان الشرقي حتى لم يبق في أيديهم لاجل ظلم الكفار شيء يملكونه بأنفسهم ، كأنه كان كل أهالي التركستان الشرقي عبيداً لهم ، وأموالهم أموالا لهم يتصرفون فيها كيف يشاءون، يغصبون أموالهم تارة، ويأخذون الباج [1] والخراج فوق طاقتهم أخرى، ويضربون أعيان أهاليه فضلا عن الاصاغر إن تأخر مرامهم تأخراً قليلا ، ويشجون رءوسهم بالضرب ، ويشهرون الفقراء في الاسواق في القرى والامصار لاجل التأخير القليل فكيف اذا كان التأخير مديداً ، وحينئذ يأخذ أحدهم الفقراء مغلولين ويحبسهم في السجن

وزادت هذه المظالم في المدة المذكورة خصوصا في زمن (جينك جانكجونك) الذي كان هو والي بلدة (أورومشي) وطغى طغيانا عظيما حتى ظلم أهالي الوطن بما

(١) المنار : الباج بالهمز الضريبة تؤخذ على الغنم أو المواشي والطريقة المستوية في العطاء ويقال بألف لينة وجمعها أبواج

لا يطيقونه أصلا ، فخرج من بين أهالي التركستان الشرقي بعد ماذاقوا من كؤوس البلايا ولم يطيقوا إلى سمومها (١) رئيس الانقلاب البطل المقدام الحاج الغازي محمد نياز من بلدة قل سنة تسع وأربعين وثلثمائة وألف ، وجاهد الكفار في سبيل الله بخلوص النية وبذل في سبيله الروح والمال والاقارب لاجل انقاذ الوطن العزيز من أيدي الظالمين ، وتخليص المسلمين المأسورين ، وترويج الملة الاسلامية ، وإعلاء كلمة الله العليا حتى أنقذ أهالي بلدة قل من يد الكفار في مدة سنتين ونصف سنة وقتل بنصرة الله ألوفا من ظلمة الكفار وليس له في هذه المدة معين إلا الله، وليس من طرف الفرقة التونكانية (٢) أحد فضلا ان يكونوا معينين

فلما فرغ الرئيس الغازي من مقاتلة الكفار الذين كانوا أعداء له ولجميع المسلمين في بلدة قل وفتحها بنصر الله جاء الخبر من طرف بلدة طرفان في خامس عشر من رمضان سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وألف اننا قد أهلكنا كفار طرفان وأخذناها بأيدينا صالة غاغة فتبارك بعضهم بعضاً ، والى هذه المدة كانت الفرقة التونكانية نائمين في دورهم، غير خارجين من قصورهم

فلما شاع خبر غلبة الغازي المذكور على الكفار الكثيرة والحال ان ليس في يد عساكره إلا المناجل والمعاول ، وسيوف قليلة ، وبنادق غير معتبرة خرج منهم البعض ليرى هل الخبر صحيح أم لا ؟ فبعد ماعاين حقيقة الحال رجع الى كبيره وأخبر الخبر فأرسل فريقاً من عساكره فجاؤا وانضموا إلى عساكر الرئيس الغازي المذكور قائلين بأننا نعينكم في فتح البلاد وقتل الكفار، فأجاب الرئيس بقوله « خير » وكان عددهم ستة وثلاثين . وبعد ماخرجوا اجتمع عساكر الغازي المذكور مع أهالي طرفان وساروا إلى بلدة قراشهر وفتحوها بنصر الله العظيم في السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأخذوا الغنائم

---

(١) كذا في الأصل ولعله سقط منه شيء . ورئيس الانقلاب فاعل خرج
(٢) المنار : الفرقة التونكانية جماعة مسلمي الصين الأصليين لم يساعدوا إخوانهم مسلمي تركستان لأنهم يرجحون الوطنية على الاخوة الاسلامية ويرجحون منافعهم الشخصية على الوطنية لفساد أخلاقهم

ثم فتحوا بلدة كورلة في اليوم الاول من شوال ودخلت بلدة بوكور أيضاً تحت تصرف الغازي المذكور وكانت قد فتحت بسعي رجل عظيم من أهلها ، وكان هذا الرجل المتدين بعد فتحه البلدة قد جمع جميع الغنائم في مكان وانتظر إلى رئيس بمجيء من طرف قراشهر ، وكان أمير أهالي قراشهر في تلك الايام رجلا من التونكان كان أمره الغازي رجاء منه شفقة على أهلها ، وبعد أيام جاء الامير المنتظر من التونكان ورأى الغنائم قد جمعت فأرسلها كلها إلى بيته في قراشهر لشدة حرصه وعدم خوفه من الله ولم يفوض شيئاً منها إلى الغازي المذكور ثم قتل الفاتح المذكور خوفاً من إخباره (أي إيصاله) خبر الغنائم إلى الغازي المذكور ،فقتله بغير إثم وخان الله ورسوله والمؤمنين

فلما سمع خبر الفتوحات أخذ يتحرك كل الناس المظلومين في كل البلاد والقرى لمقاتلة الكفار وإنقاذ أنفسهم من يد الظلمة ، ولكن انتظروا إلى مجيء رئيس يرأسونه ويقاتلون وراءه الكفار

والى هذه الايام كانت الفرقة المذكورة المعدودة من التونكان قد تفرقت إلى جهات شتى مثل بلاد قراشهر وطرفان و كورلة وغيرها وامتنعوا من الوقوف بين يدي الغازي المذكور والخروج باذنه فخرج بعضهم إلى طرف كشار ،والحال أنه لا يرضى الغازي المذكور خروجهم هذا ، والغازي وإن لم يرض في الحقيقة لكنه لم يتكلم لهم لاجل انهم يقاتلون الكفار كيفما كان ويعدمون أعداءه ، ولم يشعر بما في أنفسهم من الفسق والفساد والبغي على أهل كل بلدة دخلوها

واجتمع من أهالي بلدة كشار إلى التونكانات الجانية رجال كثيرة وفتحوها في الرابع والعشرين من شوال في سنة ١٣٥١ واتخذت العساكر التونكانية جميع الغنائم لانفسهم،وفعلوا ما فعلوا من الفسق والخيانة فيها ،وكان سير الغازي المذكور بعد فتح بلدة طرفان عساكر كثيرة إلى بلدة أورومشي وحصرها محاصرة شديدة،وفي أثناء المحاصرة فر الى اورومشي مع آلاف من جنده الى طرف كوجونك وجلس في مقامه واحد من أمرائه العسكرية وأعلن الصلح فلم يجب الغازي له ،بل شدد المحاصرة ثم سير بعض عساكره إلى فتح بلاد موري جيطي كوجونك وكانت هذه

البلاد الثلاثة تحت تصرف الكفار، وكان أخرج أيضاً رئيس التونكان من عساكره إلى فتح تلك البلاد فاجتمع الفريقان وجاهدوا الكفار أشد مجاهدة حتى فتحوها معا بعد خوضهم بحار الحرب، فلما جمعت الغنائم أخذت الفرقة التونكانية مجموع ماغنموها من الكفار من الآلات الحربية والبنادق وغيرها من الخزائن وارتحلوا بها في ليلة إلى رئيسهم، ولم يعطوا عساكر الغازي شيئا من البنادق والغنائم، وخانوا الله ولرسوله وللمؤمنين ولم يقسموه بحكم الكتاب والسنة، فبعد مافعلوا ماهو خارج من الشريعة قالوا لعساكر الغازي نحن لا نخرج إلى غزاة أوروﻣشي فالآن لابد عليكم أن تحاربوا أنتم فقط كفار أوروﻣشي وتفتحوها بأنفسكم بالآلات التي في أيديكم، قالوا هذا الكلام من غير استحياء

هلموا يااخواني المسلمين، هل هذا شعار الاسلام؟ أم هو حكم الشريعة الغراء؟ أم هو طريق الانسانية؟ أم هو الانسانية؟ كلا ثم كلا!

فلما رأى الغازي ماجرى من خياناتهم في تلك البلاد الثلاثة وسمع مافعلوه من المظالم والبغي والفساد في البلاد التي فتحوها تيقن أنه لا يمكن الاتفاق معهم وان الرئيس الغازي وان صبر على ما فعلوه لكن لا يمكنه اجتماع الكلم لانهم منافقون خائنون سلكوا طريق الهوى ونبذوا كتاب الله وراءهم ظهريا، والا فكيف يجوز مسلم موحد معاداة المسلمين ومداراة الكفار لايجوزه قط أصلا.

وأيضا الفرقة التونكانية كلما دخلوا بحر الحرب انضموا على الفور الى الخطا واتخذوهم أبا وأما ورموا نحو المسلمين وجرعوا كؤوس المنايا الى العساكر الاسلامية كما جرعوا في بلدة ياركند من قبل، ويصبون الآن في بلدة كاشغر على أهاليها من صنوف البلايا والمحن مالم تره العيون ولم تسمعه الآذان، بأنهم يغصبون أموال المسلمين ويقتلونهم ويحرقون بيوتهم ويخربون ديارهم

هذه المفاسد التي ذكرناها هي واحد من ألف من المظالم التي جرت بيد التونكانات من قبل، وفي الجريان الآن (والله غالب على أمره * وهو على مانقول وكيل) والسلام ١٥ رجب ١٣٥٢ رئيس المحكمة الاستقلالية

الشيخ ثابت بن عبد الباقي

خسارة الأفغان والاسلام

بفقد الملك الهمام محمد نادر خان

الشعب الأفغاني من أعظم الشعوب الاسلامية استعداداً لتجديد مجد الاسلام وحضارته في الشرق لما هو ممتاز به من الشجاعة والبسالة والتدين وغريزة الاستقلال ومقت التدخل الأجنبي، وخلو بلاده من الدخلاء الخونة صنائع الافرنج في الشرق ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون بما ينفثونه فيها من سموم الالحاد والفسق باسم الحضارة والمدنية ، ولكن دب اليهم دبيب هذه السموم من عاصمة الدولة العثمانية أو مدارسها ، ومن تقليد بعض شبان الافغانيين لرجالها ، وافتتانهم بالتفرنج الذي أفضى الى استواء أمان الله خان على عرش ملكها ، ووجد من البطانة والوزراء والاعوان ماجرأه على محاولة إفساد أعظم قوة وأشرف غريزة في هذا الشعب العزيز الكريم ، ألا وهي قوة التعصب في دينه المبين ، هذه القوة التي هو أحوج اليها في عهد الحضارة العصرية التي مهدت الاسباب لدخولها بجميع مفاسدها فيه ، من كفر تعطيل بلشفي من جهة ، وإلحاد إباحة من جهة ، وما في كل منهما من تهتك النساء ، واستباحة الاعراض ، والانغماس في الشهوات ، والتفاني في حب الزينة والبذخ ، والسرف في الترف ، وغير ذلك مما يفضي إلى تدخل النفوذ الاجنبي من مالي فسياسي فعسكري ، كما وقع في جميع ممالك الشرق الأدنى والأوسط والأقصى ، إلا اليابان التي انفردت دون غيرها باتباع الحكمة فيما اقتبسته من أوربة من العلوم والفنون الخاصة بالثروة وينابيعها ، والقوة الحربية وآلاتها ، مع المحافظة التامة على دينها وآدابها وتشريعها

كان من قدر الله أن أسرف أمان الله خان في التفرنج ومفاسده اسرافا لا يطيقه مزاج هذا الشعب الديني والقومي ، فثار عليه ثورة أخرجته من البلاد مهزوما مذءوما مذموما مدحورا ، أمام زعيم للثورة من أحقر أهل البلاد وأرذلهم وأسفلهم ، ثم كان من لطفه تعالى به أن قيض له أفضل رجال بيت الامارة والملك (محمد نادر خان)

فقضى على الثورة ونكل بالثائر الحقير الشرير وطهر البلاد وأمن العباد، ونهض بها نهضة الآساد، فأجمع الشعب على مبايعته بالملك فسار بسياسته سيرة عمرية في العدل والفضل والجد والقوة، والقيام بشئون الدين والدولة، وفي مقدمتها تنظيم القوة العسكرية، ونشر العلوم والمعارف الدينية والمدنية، وتفجير ينابيع الثروة، والنهوض بأعمال العمران العامة من تمهيد الطرق وبناء الجسور والمدارس وغير ذلك

لقد قويت آمال عقلاء المسلمين في دولة الافغان وشعبها وبلادها في عهد الملك نادر خان تغمده الله تعالى برحمته ولا سيما مسلمي الهند وإن كان بعض الملاحدة من كتابها لايزالون كغيرهم يحنون إلى أمان الله خان وتفرنجه ويفضلونه بزعم أنه كان عدوا الانكليز، وان نادرخان كان مسالما لهم، وهذا الزعم يدل على جهلهم بالسياسة وأنهم لايزالون فيها كالأطفال أو العوام، فالدولة الافغانية في طور تأسيس وتكوين والسياسة المثلى فيها مسالمة جميع الدول ولا سيما جارتيها القويتين الانكليز في الهند وروسية

علق قلبي حب الشعب الافغاني منذ أشرق عليه نور الحكمة والاصلاح من تلك الشمس العلوية المحمدية التي بزغت من بلاده بظهور السيد جمال الدين فيها ثم علق قلبي حب الملك محمد نادر خان عاوقه الله تعالى له من تطهير تلك البلاد من فساد أمان الله خان، وغذاه وزيره المفوض بمصر محمد صادق المجددي التقي هو خير مثل له في الجمع بين الدين والعلم والعمل الصالح للدين والدنيا، وان ما حدث أخيرا في تركستان الشرقية من تأسيس دولة اسلامية فيها قد أنبت في أرض ذلك الحب الخصبة أملا قويا باتحادها بدولة الافغان، وقرب تجديد مجد الاسلام في الشرق الاوسط والاقصى وبلغ من قوة أملي بسياسة هذا الملك أن كاشفت وزيره الصادق المفوض هنا بعزمي على كتابة تقرير في إصلاح دولته هنا ليرفعه الى جلالته ووضعت النقط الأساسية له، ولم نلبث أن فجأنا البرق بما فجعنا من نبأ اغتياله ونشر نا في الجزء السادس على أن نعود الى الكلام في هذه الفجيعة والمسألة الأفغانية

وقد رأيت أن أنشر هنا مقالة لعالم هندي كبير واستاذ شهير نشرت في جريدة التيمس الانكليزية، وترجمت بالعربية لجريدة السياسة المصرية وهذه ترجمتها :

تراث نادر شاه

عن التيمس للسير سيد مسعود نائب عميد جامعة عليكرة الاسلامية بالهند

ان المأساة التي وقعت في كابل يوم ٨ نوفمبر الماضي (ت٢ سنة ١٩٣٣) قد لفت البلاد برمتها في ثياب الحداد لان البلاد لم تفقد بقتل الملك نادرشاه ملكا صالحا فحسب ، بل فقدت أيضاً أكثر زعمائها استحقاقا لثقتها، ولقد كانت لي مقابلة مع الملك الراحل في كابل قبيل وفاته ببضعة أيام ، فاعتبرته إذ ذاك أعظم الحكام المسلمين في العالم الاسلامي اليوم

ولقد تداول على أفغانستان ملوك كثيرون كان بعضهم مرهوبا، وكان بعضهم مرغوبا ومحترما ، ولكنني ارتاب في أن يكون أحدهم اجتمع له حب الكافة واحترامهم كما اجتمعا للملك نادرشاه . إذ انه ظهر على المرسح في وقت كانت تئن فيه البلاد تحت طغيان المتغصب باجي سقاء وكان يتهددها خطر تفكك الوحدة السياسية التي يتوقف عليها وجودها كمملكة مستقلة ، فاستطاع أن يضع حداً لمنافسات القبائل فيا بينها ، وسارع الى جمع جيش غير منظم ولا تام الاهبة أزل به المتغصب عن العرش، وهيأ لامته ان تستعيد كرامتها التي فقدتها لما رأت عرش أفغانستان يجلس عليه جاهل متعصب من أصل وضيع .

ولعل المشاق التي احتملها الملك نادرشاه خلال حملته على باجي سقا في وقت كان فيه هو نفسه ضعيفا واهن القوى، هذه المشاهد قد ملكت ألباب مواطنيه المقاتلين، كذلك رفضه قبول العرش الذي عرض عليه ثلاث مرات جعل القوم يتيقنون أنهم اهتدوا أخيراً إلى رجل كانت رغبته الوحيدة ان يكون نافعاً لبلاده القلقة

وكان الملك نادرشاه خلال الحملة كلما رجاه شيوخ القبائل أو اتباعه الآخرون في ان يعرب عن نفسه صراحة يجيب إجابة لاتتغير ، وهو ان واجبهم الضروري امام الامة ان يطردوا الغاصب ثم ينظروا في ان يولوا عليهم ملكا من مختاره الجمعية الوطنية بالاجماع . على ان الهزائم التي أوقعها بجيش باجي سقا ماجعلته يوما يفقد أمله لانه كان رجلا مؤمنا بالله يعلم أنه يقاتل في سبيل قضية هي حق فهو لهذا سيفوز في النهاية .

وفي أثناء السنوات الأربع التي تولى فيها الملك في كابل وفق الى إعادة السلام والوحدة في ارجاء البلاد . وأذكر انني حضرت حفلة كبيرة وقف يخطب فيها أحد الزعماء فصرح بان أفغانستان قد أصبحت الآن بفضل ملكها الكبير القلب بلاداً متحدة فلم يعد فيها خلاف بين الشيوخ والشبان ، والذي يدل على مبلغ نجاح نادرشاه في نشر الامن في ربوع البلاد ان موته لم يحدث اضطرابا في البلاد خلافا لما هو معروف من قبل، بل أجمع الكل على اختيار ولده وهو شاب في التاسعة عشرة (١) من عمره خلفا له فبايعته كل القبائل ذات الخطر

وتعود بي الذاكرة وأنا أكتب هذا إلى صلاة الجمعة التي أديتها مع الملك نادرشاه يوم ٢٧ أكتوبر الماضي في المسجد الجامع بكابل . وإن انس لا أنسى نظرة الاخلاص والاعجاب في عيون الجمهور وهم يشاهدون ملكهم يسير متمهلا في صحن المسجد، لانني بصفتي شرقيا عرفت هذه النظرة الخاشعة من الاخلاص وشعرت ألا شيء يمكن أن يكون أصدق منها، . ولا تزال ترن في أذني صيحات الهتاف بحياة الملك التي ملأت الجو عقب صلاة الجمعة ، فلما التفت الملك ليودعني كانت الدموع تترقرق في عينيه . وكان هذا آخر العهد بيننا، فانه مع الاسف قد عجلت به طلقات ذلك الشاب المفتون الذي لم يلحقه منه أذى .

وكان الملك قبل وفاته مشغولا بأمرين يحصر فيهما اهتمامه وهما :(١) كيف ينظم ديوان التعليم و(٢) كيف ينمي الموارد المعدنية لمملكته - ففيما يتعلق بمسئلة التعليم أعطى للامة القصر المظيم الذي شيده الملك أمان الله خان في دار الامان ليكون جامعة حديثة، وقرر الملك نادرشاه أن يبدأ في جامعة كابل بافتتاح الكليات التي تدرس المواضيع العملية مثل الطب والهندسة والزراعة ، وقد نظمت فعلا كلية الطب، وكان رحمه الله لا يميل إلى تشجيع العلوم النظرية مثل الفلسفة لانه رأى ظروف البلاد تجعل من مثل هذه العلوم ترفا ، كذلك كان في نيته أن يستغل شلالات الماء المهمة في أفغانستان لتوليد الكهرباء التي تستخدم في المصالح الصناعية

(١) أي بالحساب الشمسي ومارُوي من أنه بلغ الحادية والعشرين يراد به سنه بالسنين القمرية ، فلا تعارض بين الروايتين

وكان الملك ينوي في سبيل ترقية الموارد المدنية في مملكته أن يأمر بعمل مساحة جيولوجية للبلاد، ثم بنظيم شركات تعمل تحت اشراف خبراء يستخدمهم وكان كذلك يفكر في إنشاء طرق معبدة تم منها في حياته فعلا الطريق المؤدي إلى الحدود الروسية، وحينما قتل الملك في كابول كان رئيس وزارته ووزير خارجيته بعيدين عن العاصمة يتمهدان هذا الطريق قبل افتتاحه للمرور وينتظر أن يكون معداً في السنة القادمة الطريق الآخر الموصل من كابول إلى بشاور ومتى تم تنقص المسافة بين المدينتين ثلاثين ميلا

ومن حسن حظ أفغانستان أن الرجال القابضين على ادارتها الآن وهي في مفترق الطرق هم رجال ذوو مقدرة مخلصون في مقاصدهم يثق فيهم الشعب لحبهم لبلادهم ، فالسردار محمد هاشم خان رئيس الوزارة وهو أخو الملك الراحل خبير بالعلاقات مع الدول الاجنبية، وله كل المؤهلات اللازمة لرجل يشغل مثل مركزه الممتاز ، وهو بعد ذو شخصية جذابة بارع في اكتساب مودة زائره — كما ان السردار فايز محمد خان وزير الخارجية رجل مطلع على الشئون الاوربية ، عليم باللغات ، جم النشاط ، وعلمه بشئون الدول الغربية يسير أبداً مع الوقت، ومحدثه يستفيد دائما من حديثه . وأما شاه محمد خان وهو أخو الملك الراحل ووزير الحربية في الوزارة الحاضرة فان في فطرته تواضع الاكفاء من رجال الجندية ، كما انه كريم مصقول فيه صراحة

وقد أتاح لي الحظ أن أجتمع بوزير آخر هو نواز الله خان وزير الاشغال العامة وهو رجل ذو نشاط لايخمد ، لعب دوراً هاما في حملة نادرشاه على باجي سقا وهذا الوزير ولد في بلاد الهند ، وتربى في بلاد البنجاب وهو الاخلاص مجسما وقلبه يخفق بحب بلاد أفغانستان التي نشأ فيها آباؤه الاولون

كل هؤلاء الوزراء أعرفهم تماما وأشعر لهم ولمثلهم العليا بأسمى الاحترام وهم يعملون باتفاق تام لعلمهم ان السكينة والامن هما أهم ما تحتاج اليه بلادهم ، أما فيما يتعلق بالبلاد الاخرى فلن يكون تغيير في السياسة التي وضعها ، الملك الراحل . فحكومة الافغان تود أن تعيش في صفاء ومودة مع كل جيرانها، وكل من يقول

بضد هذا لايقول صدقا ، لان القابضين على السلطة يعلمون أن أهم واجب أمامهم في الوقت الحاضر أن يرقوا المصادر الصناعية للبلاد ، كما انهم يعلمون أن هذا الواجب انما يمكن القيام به اذا شمل الهدوء والسلام أنحاء البلاد

فالعمل الذي بدأ به الملك الراحل من انشاء مستشفى تام المعدات لمعالجة المسلولين بالمجان كان إيذاناً ببداية عصر يعنى فيه حكام أفغانستان بتحسين الحالة الصحية للامة .

ومن المؤسفات ان الملك نادر شاه لم يتح له أن يرى بناء مدينة كابل الجديد التي فكر في انشائها وفق تخطيط يلائم أحدث مبادىء الصحة العامة ، على أن الوزراء الحاليين سيستمرون على اتمام هذا العمل موالين للابن الشاب كما كانوا موالين لابيه . ذلك أنهم رجال محنكون يعلمون مالا يعلم غيرهم مبلغ الضرر الذي يحيق بالبلاد اذا اضطرب الامن الذي ثبت نادر شاه دعائمه فيها اه بتصحيح قليل للترجمة

(دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة سيدنا ابراهيم فيها)

كنت وعدت بنشر مافي ترجمة سيدنا ابراهيم الخليل (ص) من هذه الدائرة والرد على مافيه من الخطأ المخالف للقرآن العظيم وما أخطأ به الأستاذان الدجوي ووجدي في ردهما عليها . ثم رأيت كثيرا من الكتاب كتبوا في الموضوع ومنهم من رد عليهما في الجرائد والمجلات فاكتفيت بذلك في تنبيه الجماهير ، وإن كان ما اطلعت عليه مما نشر لم يحط بالمسألة من كل ناحية . ومن غريب الجهل أن يعد بعض المسلمين مافي سفر التكوين من أسفار العهد القديم من توراة موسى عليه السلام ، ويرى ان أخباره أصول مسلمة يجب تأويل ما يخالفها من آيات القرآن ، والحق أن التوراة هي الشريعة التي أوحاها الله تعالى الى موسى (ع م) وقد عرض لها التحريف وان سفر التكوين ليس منها ، ولا يعرف مؤلفه وقد ألف الاستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الاميركانية في عصرنا كتابا رجح فيه ان مؤلفه يوسف عليه السلام . وأغرب منه قول بعض المفسرين باجماع المؤرخين على أن اسم أبي ابراهيم (ص) تارح لا آزر ، وزعم بعضهم ان آزر عمه . وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير المنار

العبرة بسيرة الملك فيصل

(٣)

الفرق العظيم بين الشريف عبد الله والشريف فيصل في القضية العربية يتجلى أكمل التجلي بما كان بين مبدإ كل منهما وما بعده من التباين، فالأول كان السابق الى التفكر فالكلام فالعمل في القضية وعداوة الترك، والثاني كان يرى أن الخير لوالده وليبته ولوطنه (الحجاز) بالذات، ولأمته بقاء الارتباط بالترك ودولتهم، ثم كان كل منهما عاملا في الثورة العربية التي تولى والدهما زعامتها، ولكن عبد الله قاتل العرب بقتال النجديين في طربة فكان عمله هذا أول نكث لعهد الجامعة العربية وحنث بيمينها انتهى بما حله كل الناس من الشؤم والشر عليه وعلى والده الذي عثله اليه، وفيصلا قاتل الترك أولا ووادم آخرا وأبرم عهد الاتفاق هو والملك ابن السعود واعترف بدولته الحجازية النجدية عملا بعهد جمعية الفتاة العربية التي كان المراد منها أن تكون أحد أركان الجامعة العربية، وظل مرتبطا بها ويجزيها الى آخر أيام حياته حيث كانت هي المنفردة بالعمل في منطقتها، على مشاقة ومشادة تعددت بينه وبينهم في دمشق بعد توليتهم إياه ملكا عليها

ومن مظاهر الفرق بينهما ان هؤلاء العاملين هم الذين سعوا لاستقدام الشريف عبدالله الى بقعة شرق الاردن بعد احتلال الجنرال غورو بجيشه الفرنسي لدمشق وخروج فيصل منها. لان هذه البقعة ظلت مستقلة غير تابعة لفلسطين ولا لسورية، وأرادوا أن يجعلوها مركزا للعمل ولم يلبث ان ناوأهم وجعلها بسعيه تابعة للانتداب الانكليزي في فلسطين، وجعل نفوذ الانكليز وحقوق ملكهم فيها أقوى مما هي في كل الممتلكات والمستعمرات البريطانية وكذا الجزائر الانكليزية نفسها، وألحق بها بمساعدة أخية الشريف علي الذي سمي ملكا للحجاز وهو محصور في جدة، منطقة العقبة ومعان الحجازية التي هي أمنع المواقع البحرية البرية في بلاد العرب كلها

وأما فيصل فجعل ملكا على العراق في ظل الانتداب البريطاني وقد فتح الانكليز العراق بالسيف والنار، فآل الامر بسعيه وحسن سياسته الى استقلاله التام، فما أعظم الفرق بين الشقيقين في النسب، الشاقين في الرأي والعقل والخلق والعمل

لقائي الأول لفيصل

أتيح لي في أوائل سنة ١٣٣٨ هـ الموافق لخريف سنة ١٩١٩ م أن أغادر مصر وهي في عنفوان ثورتها الوطنية إلى سورية وهي مضطربة فيا ابتليت به من احتلال فرنسة لسواحلها وانكلترة لداخلها ، ووجود حكومة عربية عسكرية في دمشق وما ألحق بها ، مرتبطة بالاحتلال الانكليزي فيها ، وما أعطيت جواز السفر لهذه الزيارة الا بعد سعي طويل لدى السلطة العسكرية البريطانية هنا وأخذ العهود والمواثيق الخطية علي بأمور منها ألا أخطب خطبا ولا أعقد اجتماعات سياسية فيها

وبينا كنت في بيروت جاءت الاخبار من أوربة بأن الامير فيصلا سيجيء من أوربة قريبا فعقد وجهاء بيروت الاجتماع بعد الاجتماع للاتفاق على ما يعملون لاستقباله والحفاوة به وكنت أدعى الى كل ذلك وأحضره . وقد اضطررت في أثناء ذلك إلى السفر إلى طرابلس لعمل خاص بوقف مسجدنا ومالي فيه من الحق المالي فسافرت قبل الظهر من يوم السبت ١٩ من ربيع الآخر الموافق ١٠ من يناير سنة ١٩٢٠ وأنبأتنا البرقيات الخاصة يوم الثلاثاء ١٣ من يناير بان الامير يصل إلى بيروت صباح غد ، فعدت إلى بيروت مساء ذلك اليوم والمطر شديد متصل مع جماعة من الوجهاء ، في مقدمتهم أوجه الزعماء ، سليل الافتاء ، سماحة عبد الحميد افندي كرامي مفتي طرابلس الشام ، الذي أخرجته السلطة الفرنسية بعد ذلك من منصبه عقابا له على وطنيته ، والتاجر الوطني الغيور عارف أفندي النعماني ، وقد ارتطمت بنا سيارته في الوحل مرارا ، أذكر هذا ولا أنساه على كثرة ما أنسى الامور العادية وان كانت شاقة أو سارة ولا أكتب ما أذكره منها ، وقد قطعنا المسافة في ست ساعات وكانت تقطع في ثلاث لان مطاط عجلاتها تقطع وأصلح أربع مرات

وصل الامير فيصل الى بيروت في ضحوة يوم الاربعاء على بارجة فرنسية يصحبه ضابط فرنسي يلازمه ، واستقبله على رصيف مرفأ بيروت رئيس أركان الحرب للجنرال غورو المندوب السامي لفرنسة مع ضباطه وفصيلة من العسكر الفرنسي والجزائري ، وقابلته وفود الوطنيين يتقدمهم أعضاء لجنة الاحتفال البيروتية ، وقابلته أنا مع وفد طرابلس في دار الاعتماد العربية وكان يشغلها من قبل حكومة سورية العربية الضابط

الشهير يوسف بك العظمة الذي استحكمت المودة بيني وبينه مدة مكثي في بيروت

وعدت الى دار الاعتماد في اليوم التالي (الخميس) لاجل أن أقابل الامير مقابلة خاصة فعلمت انه ذهب الى زيارة الجنرال غورو، فقلت ليوسف بك العظمة رحمه الله انني لست من الرجال الذين يرغبون في التشريفات والظهور وانما أنا رجل بحث وعلم وعمل فأرجو أن تأخذ لي موعدا من الامير بلقاء خاص، فعهد الي بأن أعود الساعة الحادية عشرة فعدت وعاد فقابل بعض الوفود المنتظرة ثم خلوت به فأثنى أجل الثناء، وأظهر الارتياح التام لهذا اللقاء الذي قال انه كان يتمناه، وكاشفني بما جاء لاجله وبأنه سيعود الى أوربة عاجلا بالتفويض الذي يحمله من البلاد.. ودعاني إلى الغداء معه فتغديت وتغدى معنا الضابطان الفرنسيان (كوس وتولا) اللذان لم يفارقاه مدة اقامته في الشام أميرا أفلا حاكما إلى أن فارقها بعد احتلال غورو لدمشق

ودارت بيني وبينه محاورة طويلة فيما جاء من أوربة لاجله ثم ذهب الى دمشق على ان يعود الى بيروت بعد أسبوع كما قدر

ثم عاد الى بيروت في ١٣ من جمادى الاولى - ٣ من فبراير (شباط) فزرته في اليوم التالي وخلوت به ساعة كاملة قبل الظهر، وكان المرحوم يوسف بك العظمة بلغه عني ما ذكرته من قبل وهو أنني لم أجيء لما يجيء له غيري من المظاهر وما يسمونه مقابلات التشريف بل للبحث في المصلحة العربية. وكان أول ما بدأته به أنني أريد معرفة خطته في العمل لهذه الأمة فاذا اتفقنا في الرأي عاونته واشتغلت معه على قدر ضعفي، والا كنت مضطرا الى مقاومته وان لم أكن أميراً. فانني ناهضت السياسة الحميدية ولم أكن أميرا، ثم ناهضت السياسة الاتحادية التركية وهي أدهى وأمر، وأشد وأضر، ولم أكن أميرا، فشكر لي هذه الصراحة ودعاني الى الذهاب معه الى دمشق، فاعتذرت بأن لي عملا خاصا في بيروت وطرابلس لا بد لي من إتمامه. ووعدته بأن ألحق به بعده، فألح علي بأن أذهب معه بحجة ان خدمة الوطن مقدمة على كل شيء، فقلت لا تنافي ولا تعارض بين الامرين، وانني سألحق بك بعد يوم أو يومين: قال أتعدني بذلك؟ قلت نعم

ثم دار الحديث بيننا بالحرية التامة، وكان ذا شجب فدعاني الى العشاء معه

في ذلك اليوم لاجل أن نخلو ونتم الحديث في الليل، فأجبت، وخلوت به الى الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ مساء وكان مما قاله ان أخاه عبدالله لم يخبره بما دار بينه وبيني في قصر عابدين بمصر لانه كان يعلم أن سياسته تركية بمعنى انه كان يرى ان الاولى للعرب دوام الاتفاق مع الترك والارتباط بهم، ولكنه تحول عن هذه السياسة لما جاء الشام قبل الحرب وبعدها ورأى قومه كلهم على خلاف هذا الرأي على حد قول الشاعر

وهل أنا إلا من غزيةَ إن غوت غويتُ وإن ترشدْ غزية أرشد

ثم قال إن عبدالله كان يريد تنفيذ مسألة اتفاق أمراء الجزيرة التي اقترحته عليه (أي بمقتضى قاعدة جمعية الجامعة العربية) حتى مع ابن السعود عدوهم ولكنه هو كان معارضا له في ذلك لاعتقاده أن ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز، لا يصده عن ذلك عهد ولا اتفاق، وذكر ملخص عداوة ابن السعود لشرفاء مكة: فقلت له لو أطلعكم الشريف عبدالله على تفصيل اقتراحي لا كتفى معارضتكم فانه لا يكل تنفيذ الاتفاق الحلفي الى وفاء كل أمير واختياره بل يجعله عاجزا عن الغدر

ثم بينت له موضوع الحلف وملخص نظامه، وضرورة عقده، وضرر عداوة شرفاء الحجاز لابن السعود، لان عرب الحجاز أضعف العرب وأشدهم احتياجا الى الاتفاق الذي غايته جعل امراء الحجاز رأس العرب لان مجلس الحلف العام لا يكون الا في مكة، وسيكون أميرها هو الرئيس له بالطبع

فقال حينئذ انه مستعد للاقتناع والده بذلك، ضامن له، اذا وجد من ينفذه ويضمن ارضاء ابن سعود بالحدود العادلة التي تحددها لجنة على الحياد. وذكر ان الانكليز يهددونهم بابن سعود، وهنا تكلمنا في علاقتهم بالانكليز الآن وفي زمن الحرب فاذا هو لا يزال يرجو وفاءهم بما عاهدوه عليه (هكذا كتبت في مذكرتي عقب الجلسة أي عاهده هو) وخروجهم من فلسطين والعراق لتأسيس دول عربية متحدة ورضاهم بالمنافع الاقتصادية التي لا تنافي الاستقلال، على أن كلامه متناقض فانه اعترف قبل ذلك بانه كان مغشوشا بالانكليز، وان والده هو الذي غشه، وانه قد عرف بعد الاختبار كيد الانكليز للعرب وللاسلام — أو قال عدوانهم — وأن والده أيضا قد رجع عن رأيه في اخلاصهم) (وسأذكر في النبذة التالية ما دار بيننا في دمشق)

كلمتان

في الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا

لأمير البيان، الامير شكيب أرسلان، في الجزء الأول من كتاب حاضر العالم الاسلامي

﴿ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ﴾

أستاذنا فريد عصره ، ووحيد مصره ، حجة الاسلام الشيخ محمد عبده ، أكرم الله مثواه ، تعرف اليه كاتب هذه الحواشي في عهد الطلب ، أيام كان هو منفيا في بيروت على أثر الحادثة العرابية وذلك سنة ١٨٨٦ ، ولازمته وأخذت عنه واستفدت منه بقدر ما وسع فتور خاطري، واستفضت من بحر حكمته ما أمكن أن يذاله قصور عارضي ، ووجدت فيه الضالة التي كنت أنشدها ، والبغية التي كنت أبحث عنها ولا أجدها ، ورأيت في فهمه العقيدة الاسلامية الشكل الوحيد الذي يرجى أن ينهض بالاسلام بعد ان آل الى هذه الحال ، وان يقيل عثاره بعد أن ظن ضعفاء العقول أن عثرته لا تقال . وما زلت بعد أن عاد الى وطنه مصر الى أن أدركته الوفاة رحمه الله أجاذبه حبل المكاتبة ، وأقف على رأيه في أكثر الامور جزئيها وكليها ، وأستطلع منه طلع الأحوال، وهو يبث مالا يبثه الى غيري من سوانح فكره ، وذوات صدره وبينما كان بعض حساده يتهمونه بمماشاة الدولة المحتلة ومواثقة اللورد كرومر كان يكتب الي قائلا : « الأحوال هي مما يتعاظم له الألم ، ويعجز عن وصفه القلم » فكنت أعلم أنه ما أراد الا تخفيف الداء ، وتقريب أجل البلاء ، وتمهيد طريق الجلاء . وما زال شأنه يعلو ، وحقيقته تظهر وجوهره ينجلي بالحك ، وعقيدة فضله تتمحص من الشك ، الى أن اتفق الناس على كونه أحد أفذاذ الشرق الذين قلما جاد بهم الدهر ، وواسطة عقد المصلحين المجددين في هذا العصر ، وظهر أن طريقته الاسلامية العصرية ستزداد مع توالي الأيام انتشارا ، وتكون هي طريقة المستقبل ومعول الآتي

ولقد كان جامعا بين العلم والعمل ، فلا تجد ما يساوي فضله وبلاغته وثقوب

أفكاره، وقوة ملكته في الفلسفة، سوى علو مباديه، وبعد همته، وغزارة مروءته، وطهارة أخلاقه، وهيهات أن يأتي الزمان بمثله

ومن حسناته الكبرى، وأياديه التي ملأ بها طباق العالم الاسلامي براً، أخذه بيد الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا في نشر مجلة «المنار» التي هي لسان حال ذلك المصلح العظيم وترجمان أفكاره. فهي والحق يقال أحسن مجلة ظهرت في باب الاصلاح الديني وتطهير الاسلام من شوائب البدع واعادته سيرته الاولى في عهد السلف. وتأليفه مع المدنية الحاضرة. كما ان الاستاذ السيد رشيداً المشار اليه هو الاولى بأن يخلف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مشروعه. وفقه الله وسدد خطاه

الاستاذ الأكبر السيد محمد رشيد رضا

ويطول المهد بعد بالاستاذ الاكبر السيد رشيد فسح الله في أجله حتى يقوم في العالم الاسلامي من يسد مسده، في الاحاطة والرجاحة، وسعة الفكر، وسعة الرواية معاً، والجمع بين المعقول والمنقول، والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل المصرية، والتطبيق بين الشرع والاوضاع الحدثة، مما لاشك ان الاستاذ الأكبر فيه نسيج وحده، انتهت إليه الرئاسة، لا يدانيه فيه مدان، مع الرسوخ العظيم في اللغة والطابع الريان من العربية، والقلم السيال بالفوائد في مثل نسق الفرائد، والخبرة بطبائع العمران، وأحوال المجتمع الانساني، ومناهج المدنية وأساليبها، وأنواع الثقافات وضروبها، إلى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصما مها علا كعبه إلا أفحمه وألزمه، ولا نازل قرنا كان يستطيل على الاقران إلا رماه بسكاته وألجمه.

وأجدر بمجموعة «المنار» أن تكون (المملة الاسلامية الكبرى) التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها، كما أن التفسير الذي وفقه الله به لكشف أسرار كتابه العزيز هو من آياته الباهرة التي خلدت اسمه في هذه الامة، وقرنته بكبار الائمة، وله من المواقف الشريفة في النضال الديني عن الاسلام، والمراماة عن عقيدته الصافية، ومن الكتب الجدلية في رد شبهات أعدائه من أبناء الملل الاخرى، ومن الملحدة والمعطلة، مالا يقدر أحد في عصرنا هذا أن يدرك

فيه شأوه ، ولا يستطيع جهبذ من جهابذة الاسلام أن يبلغ فيه مده ولا نصيفه. انه الرجل الذي لو دعا كل مسلم باطالة حياته حباً بخدمة الاسلام والمسلمين لكان بذلك جديراً

وليس في كلامنا هذا شيء من الاطراء ولا ثمة مايدعونا إليه ، وانما أُمرنا بأن لانبخس الناس أشياءهم، وهو أمر إلهي صريح، كما أننا لسنا ممن يرى المعاصرة حجابا عن تقدير الفضائل قدرها ، بل نرى أن المنصف يجب أن يزن أقدار الناس في الحياة وبعد الممات بميزان واحد ، وإن كان من ضرائب البشرية أن تقسو على الاحياء ، وأن تحنو على الاموات ، وأن لا تعطي الانسان حقه غير منقوص إلا اذا فات

ولقد حرر السيد رشيد تاريخ أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مجلدين كبيرين يزيدان على ألفي صفحة وسيمزجهما بمجلد ثالث(١) فيكون من الفضول أن نقول انه لاتاريخ للشيخ محمد عبده غير هذا التاريخ وهو الذي فيه ترجمة حاله بتفاصيلها ،وحياته من المهد إلى اللحد، مع ذكر منازعه بدقائقها،وعقائده بحقائقها، ومنشآته بنصوصها ، وأخبار الحوادث التي خاضها ، والمسائل التي راضها

وقد دخل في هذا الكتاب تاريخ السيد جمال الدين الافغاني، وسير أعلام آخرين ،وتلخيص الحوادث العرابية في مصر وروايات كثيرة عن الخديو السابق، ووثائق تاريخية لاتوجد في كتاب آخر،ومباحث عقلية وشرعية وسياسية وأدبية ولغوية لايعثر القارىء على مثلها في غير هذا الكتاب. وللفقير إليه تعالى راقم هذه الاسطر في الجزء الاول من هذا السفر الجليل فصل عن حياة الاستاذ الامام

---

(١) الصواب أن الذي صدر من هذا التاريخ ثلاثة أجزاء الأول في الترجمة التي وصفها أمير البيان هنا ، والثاني في منشآت الأستاذ الامام القلمية بأنواعها وأشار إليه الأمير بكلمة واحدة ، والثالث في أهم ماقيل فيه من التأبين والمراثي والتعازي التي نشر أكثرها في الجرائد والمجلات ، وسيكون الرابع في آثار قلم أستاذنا علمية وأدبية ، ومكاتبات بعض العلماء والأدباء والكبراء له، ومختارات مما مدحه بها الشعراء وغير ذلك إن شاء الله تعالى

أيام كان في بيروت وكنا متصلين به وهو نحو من ١٤ صفحة ولهذا الفصل تتمة وعد الاستاذ الرشيد بنشرها في الجزء الذي لم يظهر بعد

ولما كان الاستاذ السيد رشيد من كبار المحدثين، وله في هذا الفن من الطول ماليس خافياً عن أحد، فقد امتزج خلق التمحيص بدمه ولحمه، وأصبح لا ينشرح صدره إلى الخبر إلا اذا وثق بأسانيده وآمن بأمانة رجاله، وقد يسوق الرواية من جملة طرق إلى أن يثلج بها الصدر، ويطمئن لها الفكر وهذه طريقة السلف عندنا لا يروون شيئاً لا من الاحاديث النبوية وأخبار الصحابة فحسب، بل لا يروون شيئاً من الاشعار والآداب، وسير البشر والحكايات، إلا عنعنوه مسلسلا، وربما أشاروا إلى درجة رجاله، فقووا ولينوا كما لا يخفى على من طالع كتبهم، وكانت له ألفة بطريقتهم. وهذه الطريقة هي اليوم طريقة الاوربيين أيضاً لا يروون خبراً ولا ينقلون جملة ولا أثراً إلا وضعوا في الحاشية مأخذها والكتاب الذي أخذوها عنه مع ذكر الصفحة ومع ذكر طبعة الكتاب وتعيين المطبعة أحيانا، وكل ذلك توثيقا للنقل، ونصحاً بالتبليغ، وتمهيداً للحكم الصحيح، الذي لا يتهيأ للقارىء إلا بمقدمات صحيحة، وبينات رجيحة

ومن نفائس تآليفه السفر الذي أخرجه مؤخراً تحت عنوان «نداء الى الجنس اللطيف» فيه بيان حقوق النساء في الاسلام وتحقيق مسائل اجتماعية تدور أكثر من كل المسائل في هذا العصر مثل تعدد الزوجات والتسري والحجاب والسفور والطلاق وما يتعلق بأزواج النبي ﷺ من الاحكام والحكم، وتكريم النساء، وبر الوالدين وتربية البنات، وغير ذلك. قد جاء الاستاذ في هذا الكتاب بالآيات البينات على حكمة الشرع الاسلامي وغفلة المعترضين عليه جهلا أو تجاهلا، ولا يسعني إلا توصية الخلق بمطالعة هذا الكتاب إذ ذاك أحسن ما يمكن وصفه به «ان الجواد عينه فراره» ولكني أورد شذرة واحدة من هذا الكتاب من قبيل التمثيل ليقيس القارىء عليه » اه نقل الامير عبارة عن الكلام في التسري وحكم الاسترقاق وقد سبق لقراء المنار الاطلاع على الموضوع كله في كتاب الوحي المحمدي بما هو أوسع مما في نداء الجنس اللطيف

هذا رجل إلهي

هذه الكلمة قالها شاب وثني هندي في صديقنا العلامة ثناء الله صاحب المصنفات والمناظرات الوثنيين والنصارى والمبتدعين ، وأشهرها مناظراته ، لغلام أحمد القادياني ومباهلتهما التي تبين بها أن القادياني دجال كذاب وقد نشرت احدى الجرائد الهندية الاسلامية فيه الحكاية التالية وجعلت الكلمة عنوانا لها ، وهذه ترجمتها :

مولانا الشيخ ثناء الله من علماء الحديث والكلام والفقه في أمرتسر بالهند له مجلة ومؤلفات في الدفاع عن الاسلام وهو مع هذا مناظر كبير ، فصيح اللسان ، قوي الحجة ، بليغ العبارة ، يدعى لمناظرة الطاعنين على الاسلام من الهند وخصوصا جماعات (اريا سماج) وكذلك له مواقف محمودة مع مضللي النصارى . وكذا الاحمدية القاديانية جماعة مرزا احمد القادياني . وقد تباهل هو مع القادياني نفسه على ان الكذاب منهما في دعوته يموت قبل الآخر ، فمات القادياني في الكنيف شر ميتة ولا زال ثناء الله حيا قائما على المبطلين يناظرهم ويكسر شوكتهم

دعي مرة لمناظرة مع الهندوك وركب القطار وركب معه شاب هندوكي فتعارفا تعارف مسافرين فقط، وكان الشيخ ثناء الله يلهج لسانه بذكر الله عند كل مناسبة فاذا شرب بدأ باسم الله ، واذا انتهى من شرابه حمد الله ، واذا عطس حمد الله ، واذا شمته الشمت أجابه : يهديكم الله ويصلح بالكم ، واذا سلم عليه مسلم أجابه : وعليكم السلام ورحمة الله الخ وكان الشاب الهندوكي يصغي إليه ويسأله عن ترجمة كل ماسمع منه فيترجمه له إلى أن نزلا في المحطة فكانت السيارة تنتظر الشيخ ثناء الله ولم يكن في انتظار الهندوكي أحد ، فدعاه الشيخ وأركبه سيارته معه ، ولما استقلها قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون » فسأله الشاب عنها فترجمها له ، فتأثر بها حتى تغلغلت في سويداء نفسه

انعقد مجلس المناظرة — ولمجالس المناظرة في الهند شأن يعرفه من حضرها من عدل محكمين ، ومدير لحفظ النظام ، ووجيه سخي يقوم بنفقات الحاضرين

جميعا من طعام وشراب، وحاجة الراحة نوما وقيلولة وما يلزم ذلك شتاء وصيفاً وربيعاً لكل من حضر من مناظر ومستمع ومدعو وغير مدعو

ولما انعقد مجلس المناظرة وتقدم الشيخ ثناء الله إلى منصة الخطابة ، ظهر إلى مقابلته لمناظرته الشاب الهندي الذي رافقه بالامس وسمع من ذكره لله ماأدهشه ، أقبل الشاب الهندوكي إلى الشيخ المسلم مصافحا، وأعلن على رءوس الاشهاد من مسلمين وهندوكين ومسيحيين وناظمين ورجال الادارة وحفظ النظام، هذه الحقيقة التي عرفها بنفسه بقوله «هذا رجل آلهي يذكر الله كثيراً ومناظرته جرم في اعتقادي ، إنما يناظره رجل مثله، وأنا أناظر رجلا من طبقتي» إني أذكر الله ولكني لا ألحق شأو هذا الرجل. فارفضت الجلسة والناس يلهجون بفضل الله على الشيخ وانصاف ذلك الشاب ولا غرو فقد قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال) ولذكر الله أكبر) .

(آيات الله في الآفاق . أو طريق القرآن في العقائد)

مطبوع أصح طبع ، على أجود ورق، في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٢ هـ صفحاته ٢٦٢

كتاب إصلاحي جديد جليل ، مؤلفه الاستاذ الفاضل، العالم العامل، الشيخ محمد أحمد العدوي ، صاحب (كتاب مفتاح الخطابة والوعظ) ورسائل أخرى في هداية الكتاب والسنة ، أحد علماء الازهر الذين شرفهم الله باضطهاد العلماء الجامدين الخرافيين لهم ومنعهم من التدريس في الازهر لايثارهم هدى الله على مايخالفه من تقاليد المتفقهين، ونظريات المتكلمين ، وخرافات القبوريين .

جمع في هذا الكتاب المتين من آيات كتاب الله تعالى في عقائد الدين في أبوابها من الالهيات والنبوة والرسالة والبعث والجزاء ، وقد فسر هذه الآيات تفسيراً وجيزا بقدر الضرورة في الغالب ومن غير الغالب إسهاب في حكم الله في أنواع خلقه وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش فقط على كون جميع الآيات فيه قد طبعت مشكولة وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

أولهم، ولكنه خاتم الرسل المكمل لهدايتهم، وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بني اسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب المجاورين له في الحجاز وما حوله ، وقد كانت دعوته ﷺ بلغت اليهود والنصارى جميعا فيها. والمراد بالاسباط الانبياء من سلالة أبناء يعقوب ، عمم ثم خصص

(الثانية) أنه تعالى أرسل رسلا آخرين منهم من قص عليه خبرهم في السور المكية إجمالا كقوله في سورة الانعام بعد قصة ابراهيم مع أبيه وقومه (٦ : ٨٥ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا، وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ - الى قوله في الآية ٩١ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) وتفصيلا في سور الأعراف وهود ويوسف وطه والطواسين «الشعراء والنمل والقصص» وما دونهن . ومنهم من لم يقص عليه خبرهم من أنبياء سائر الامم لعدم العبرة لقومه وجيرانهم بقصصهم ، ولاظهور إقامة الحجة بها عليهم، وربما كان ذكر بعضها فتنة لبعضهم: يدعون انها أسماء مخترعة ، وقد جاء في بعض السور انه تعالى أرسل في كل أمة رسولا . وترى هذا في موضع آخر من هذا الكتاب بشواهده ، وهو حجة على أهل الكتاب الذين يحصرون فضل الله على البشر بالنبوة فيهم .

(الثالثة) أن وظيفة جميع الرسل تعليم الناس ما به يصلح حالهم ، ويستعدون لما لهم ، بطريق التبشير لمن آمن وأصلح عملا بحسن الثواب ، وإنذار من كفر وأفسد عملا بالعقاب ، وحكمة ذلك أن لا يكون للناس على الله حجة بجهلهم ما يجب عليهم من أصول الايمان، وما تصلح به الأنفس وتتزكى من صالح الأعمال، فتستعد لسعادة الدنيا بقدرها، وسعادة الآخرة من بعدها. وقد فصلنا في هذا الكتاب وجه الحاجة إلى هدايتهم، وعجز البشر عن الاستقلال بمعرفتها بعقولهم

(الرابعة) شهادة الله تعالى وشهادة ملائكته بصحة هذا الوحي له ﷺ ، وأورد